

الأيام سنوّه الثالث

تأملات في

صلاة الشكر والزمور الخمسين



عادل لست

قداسة البابا شنودة الثالث

تأملات في
صلاة الشكر والزمور الخمسين

Contemplation in the
Prayer of Thanksgiving
and Psalm No. 50

12th Print

Sep. 2014

الطبعة الثانية عشر

سبتمبر ٢٠١٤



قداسة البابا تواضروس الثاني

بابا الإسكندرية وبطريق الكرازة المرقسية الـ ١١٨



**مثث الطوبى قداسة البابا شنوده الثالث
بابا الكسندرية وبطريك الكرازة المرقسية الـ ١١٧**

الكتاب : تأملات في صلاة الشكر والمزمور الخمسين .
المؤلف : قداسة البابا المعظم الأنبا شنودة الثالث
المطبعة : الأنبا رويس الأوفست - الكاتدرائية - العباسية .
رقم الإيداع بدار الكتب : ١٩٩٠/٢٨٦٩ .

قصة هذا الكتاب

صلاة الشكر والمزمور الخمسون، نصليهما في بدء كل صلاة من صلوات الأجبية. كما أن صلاة الشكر أيضاً توجد في مقدمة القداس الإلهي، وفي مقدمة كل أسرار الكنيسة وكل صلاة طقسية.

لذلك كان أول كتاب أصدرته اسقفية المعاهد الدينية والتربية الكنسية كان «تأملات في صلاة الشكر». صدر باللغة العامية وقتذاك سنة ١٩٦٤، ثم أعادت طبعه مرات كنيسة العذراء بمحرم بك بالأسكندرية. ونشره الآن بعد إعادة صياغته باللغة العربية، بعد أن أضفنا إليه تأملاتنا في المزمور الخمسين. وأتذكر أنني أخذت صلاة الشكر موضوعاً للتأمل طوال مدة العطلة الصيفية في محاضرات أسبوعية، حينما كنت مسئولاً عن أسرة الروحيات في مدارس أحد الأنبا أوطونيوس بشبرا سنة ١٩٤٨.

أرجو من الرب أن يكون هذا الكتاب مقدمة لمجموعة كتب عن باقى الصلوات المشتركة في الأجبية. ونسأل الله أن يقبل صلواتنا جميعاً.

البابا شنودة الثالث



تأملات في صلاة الشكر

صلاة الشكر

فلنشكر صانع الخيرات الرحوم لله ابا ربنا والهنا
ومخلصنا يسوع المسيح . لانه سترنا واعاننا وحفظنا وقبلنا
اليه وشفق علينا . وعضدنا واتى بنا الى هذه الساعة . هو
ايضا فلنساله ان يحفظنا في هذا اليوم المقدس وكل ايام حياتنا
بكل سلام . الضابط الكل الرب الهنا .

ايها السيد الرب الاله ضابط الكل ابر ربنا والهنا
ومخلصنا يسوع المسيح ، نشكرك على كل حال ، ومن اجل
كل حال ، وفي كل حال ، لانك سترتنا ، واعنتنا ، وحفظتنا ،
وقبلتنا اليك ، واشفقت علينا ، وعضدتنا ، واتيت بنا الى هذه
الساعة . من اجل هذا نسال ونطلب من صلاحك يا محب البشر ،
امنحنا ان نكمل هذا اليوم المقدس وكل ايام حياتنا بكل سلام
مع خوفك . كل حسد وكل تجربة وكل فعل الشيطان ومؤامرة
الناس الاشرار ، وقيام الأعداء الخفيين والظاهرين . انزعها عنا
وعن سائر شعبك وعن موضعك المقدس هذا . اما الصالحات
والنعمات فارزقنا اياها ، لانك انت الذى اعطيتنا السلطان
ان ندوس الحيات والعقارب وكل قوة العدو . ولا
تدخلنا في تجربة . لكن نجنا من الشرير . بالنعمة والرافات
ومحبة البشر التى لابنك الوحيد ربنا والهنا ومخلصنا يسوع
المسيح . هذا الذى من قبله المجد والاكرام والعز والسجود تليق
بك معه مع الروح القدس المحيى المساوى لك الآن وكل اوان

فلنشكر

إننا نبدأ صلواتنا بالشكر، لأن إحسانات الله علينا في الماضي كثيرة جداً. قبل أن نطلب جديداً ينبغي أن نشكر الله على إحساناته السابقة. وكما قال ماراسحق «ليست موهبة بلا زيادة، إلا التي بلا شكر».

والله ليس محتاجاً إلى شكرنا، ولكننا نحن المحتاجون أن نشكر الله. كلما نشكر الله نتذكر إحسانات الله. وكلما نتذكر إحساناته، نشعر ونتأكد من محبة قلبه لنا. وكلما نتأكد من محبته، تزيد الصلة بيننا وبينه. وهكذا نستفيد.

كما أن شكر الله وتذكر إحساناته يشجعنا أن نعيش في الرجاء. ونقول أن الذي حافظ علينا في الماضي، يحافظ الآن. والذي ستر في الماضي، يستر الآن. على رأى كاهن عجوز في الصعيد كان دائماً يصلى ويقول: «اللى قضى ما مضى يقضى ما بقى». أى إن الذى ساعدنا على أن نقضى ما مضى من أيامنا، يجعلنا نقضى ما بقى منها. فنحن نحاول أن نتذكر إحسانات الله

إلينا ، لكي يكون لنا رجاء في المستقبل .

داود النبي كان باستمرار يذكر إحسانات الله إليه . ليتكم تحفظون الزمور ١٠٣ «باركك يا نفسي الرب ، وكل ما في باطنى يبارك إسمه القدوس ، باركك يا نفسي الرب ولا تنسى كل حسناته ...» فهو يطلب من نفسه أن تبارك الرب ويبارك الله من أعماق قلبه ، من داخله قائلاً « كل ما في باطنى فليبارك إسمه القدوس » .

إننا نبدأ صلواتنا بالشكر ، وليس بالطلب ، لئلا يظن أنه لولا الطلب ما كنا نصلى ! أو أن صلواتنا صلاة منفعة ! لكننا نقول له قبل أن نطلب منه شيئاً : إننا مغمورون يارب بإحساناتك . فضلك علينا كثير . حتى إن كنت لا تعطينا الآن شيئاً ، يكفي ما مضى من إحساناتك علينا . إنها تكفى .

ونحن نشكر الله في شعور بعدم الاستحقاق . الشخص المنسحق النفس ، هو الذى يستطيع أن يشكر . لماذا ؟ لأن الإنسان المتكبر ، يظن فى الخير المحيط به أنه هو أهل له ، وأنه يستحق نتيجة أعماله الصالحة ، ونتيجة جهاده . وقد ينسب كل الخير المحيط به إلى نفسه .

إذا نجح في إمتحان يقول : أنا ذاكرت هذه السنة وتعبت .
وإن كان في صحة ، ينسبها إلى عنايته بنفسه .

وإن كان غنياً ، يقول حسن أننى اكافح في الحياة ، لذلك
أتمتع بتعب يدي ، إنه ينسب الخير كله إلى نفسه .

أما المنسحق القلب ، فيشعر أنه لا يستحق شيئاً ، القليل
الذى معه ، يشكر عليه كثيراً جداً . يقول له : يارب أنا لا
أستحق كل هذا ! تخجلنى نعمتك ومحبتك ، واحساناتك . فلو
عاملتنى حسب استحقاقى ، لكنت أشابه الهايطين فى الجب .

إن الذى يستطيع حقاً أن يشكر هو الإنسان المنسحق .

هناك أشخاص حياتهم كلها تدمر ، حياتهم كلها تضجر .
مهما أعطاهم الله ، لا يشكرون ، ومهما أخذوا ، لا يباركون
الرب . باستمرار فى تضجر وتدمر . لاحظوا أن أبونا الأولين
كان عندهم خيرات الجنة كلها . ومع ذلك لم يكتفيا واشتھيا
الشجرة الباقية !

فالشكر ينشأ داخل القلب . على رأى ماراسحق «الذى لا
يشكر على درهم واحد ، كاذب هو إن قال إنه يشكر على ألف

«دينار». الشخص الذى لا يشكر على القليل لا يمكن أن يشكر على الكثير، لأن عنصر الشكر غير موجود فى قلبه .

حياة الشكر هى حياة رضا . إنسان قلبه راض ومستريح على الوضع الذى هو فيه . يقول له يارب اشكرك . مجرد بقائى كما أنا ، مجرد أنى سائر على قدمى ، إنما هونعمة عظيمة من عندك .
إن كنا لا نشكر ، فذلك لأننا لا نرى ! لا نبصر إحسانات الله ! لأن عيوننا ترفض أن تبصر . لو كنا نرى ما يحيط بنا من نعم لكانت حياتنا كلها لا تكفى للشكر . فعلى الأقل و كل صلاة من صلواتنا نبدأها بالشكر . نشكر ربنا الذى خلقنا وأوقفنا قدامه ، وأعطانا فرصة لكى نصلى ، وقلباً منفتحاً للصلاة ، وجعلنا مستحقين أن نرفع أيدينا إلى فوق .

ماذا نقول فى صلاة الشكر ؟ نقول :

فلنشكر صانع الخيرات

سبب الشكر هو أن الله صانع الخيرات ، الذى لا يؤمن أن الله صانع الخيرات ، لا يمكن أن يشكر . يلزمنا - لكى نعيش فى حياة الشكر- أن نؤمن أن الله صانع الخيرات .

الله دائماً يعمل خيراً ، لا يستطيع أن يعمل ، ولا يعرف أن يعمل إلا للخير. كل ما يعمله خير. « كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الرب » (رو ٨ : ٢٨) السالك في محبة الله يرى كل ما يحدث له خيراً.

فلنشكر صانع الخيرات ... نحن نشكر الله لأنه دائماً يصنع خيراً. صنع خيراً معنا في القديم ، ومازال يصنع معنا خيراً ، وسيصنع معنا خيراً في المستقبل. يصنع معنا الخير ونحن في برنا ، ونحن أيضاً في خطيتنا ، في دنسنا ووحلنا وقذارتنا. الخير الذي فيه لا يتوقف على بر فينا. هو يصنع الخير من أجل طبيته وحنانه وبره وصلاحه ، وليس من أجل استحقاقنا أو من أجل برنا.

والخير الذي يعمله الله هو خير في ذاته ، حتى لو كان يبدو لنا متعباً. أولاد الله يقبلون كل شيء من يده كخير ، مهما يبدو ذلك متعباً في ظاهره.

مريض يذهب إلى الطبيب فيعطيه دواء حلو المذاق ، يشربه ويقول إنه خير. وحتى إن أعطى له دواء مر الطعم ، يشربه ويقول هذا أيضاً خير. لا يهم إن كان الدواء حلواً أو مرراً. المهم أنه مادام من يد الطبيب ، فلا بد أن يكون خيراً.

نحن نشكر الله لأنه لا يصنع إلا الخير. فالشر دخيل على العالم. عندما خلق الله المسكونة كلها، «نظر إلى كل ما فعله وصنعه، فإذا هو حسن جداً» (تك ١ : ٣١). قد ينظر أناس إلى بعض مخلوقات الله على اعتبار أنها ضارة أو متعبة! وهو لا يعرف الخير الذى فيها. كل شيء صنعه الله له خير معين، ادركناه أو لم ندركه.

قرأت منذ سنوات طويلة بحثاً للقديس جيروم عن فوائد الحشرات والحشائش التى تبدو لنا ضارة. لأن إنساناً سأله: «مادام الله يحب الخير، فلماذا خلق الحنافس والصراصير والعقارب والثعابين والأعشاب المرة»، فكتب له بحثاً عجيباً عن فوائد هذه الأمور، وشرح بعض فوائدها من النواحي الطبيعية، فتعجبت أنه يوجد علم بهذا الشكل فى زمن جيروم فى أواخر القرن الرابع وأوائل الخامس! فعلى الأقل فى أيامنا هذه، لابد أن نعرف أكثر...

لو حاول كل إنسان أن يبحث عن الخير الموجود فى أعمال الله. لكان يستريح. ففى كل مشكلة تصادفه يسأل نفسه: ما هو الخير الذى فيها؟ ولماذا سمح الله بها؟ أليس بسبب

الفائدة؟ طبعاً، هناك فائدة عرفناها أو لم نعرفها...
حتى الناس الأشرار الذين يبعثهم الله إلى طريقك، فيهم
خير وفائدة. ربما يعطونك فضيلة معينة... الشخص الفاضل يعطيك
قدوة صالحة. والشخص الشرير يعطيك فضيلة الاحتمال، فضيلة
محبة المسيئين والأعداء، يعطيك فضيلة سعة الصدر، لا أحد في الدنيا
ليست وراءه فضيلة.. الأب العطوف يعطيك حناناً، والأب القاسي
يعطيك تربية وحزماً ويخرجك إلى الحياة متيناً غير مدلل...

فلنشكر صانع الخيرات... الله يصنع خيراً. حتى لو فعل
الناس بنا شراً، فإن الله يحول الشر إلى خير. لأن الله رحوم.

الرحوم الله

الرحمة صفة من صفات الله التي تجعله يشفق على الإنسان
ويحسن إليه. والرحمة طبع فيه. لا تظن أن الله يحسن إليك كمجرد
مكافأة على عملك. إنه يحسن إليك لأنه رحوم حنون، قلبه
طيب... طبيعته هكذا...

تطبيق الصلاة في حياتنا

« فلنشكر صانع الخيرات الرحوم الله ». حينما تذكر، أذكر
أيضاً أن المفروض فيك أنك صورة الله ومثاله، فالله خلقنا على

صورته . إن كان صانع خيرات ، مفروض فينا أن نكون مثله ، كل واحد فينا صانع خيرات . إن كان الله رحوماً مفروض فينا أن نكون نحن أيضاً رحومين ، لأننا نحن أولاد الله ، ولا بد أن نشبه أبانا السماوى ...

اسأل نفسك أثناء الصلاة هل أنا يارب على صورتك ومثالك؟ وهل أنا مثلك اصنع الخير باستمرار؟؟ ... أنت تصنع الخير مع كل أحد. تشرق على الأشرار والأبرار، وتمطر على الصالحين والظالمين، وتشبع كل حى من رضاك. فهل أنا أيضاً أصنع خيراً مع الحبيب والعدو الصالح والشرير. أم أننى فى صنع الخير، أتأثر بمعاملات الناس وطباعهم؟!

كلمة لطيفة قيلت عن السيد المسيح ، ليت كل منا يضعها أمامه كشعار له . قيل إنه « كان يجول يصنع خيراً » (أع ١٠ : ٣٨) . يعمل خيراً مع كل أحد . أنا أتصور أن كل إنسان عاشر المسيح ، لابد أن يكون نال منه خيراً . حتى الذين هلكوا فى خطاياهم ربما حياتهم كانت ستؤول إلى أسوأ ، لولا أنهم رأوا المسيح .

بيلاطس البنطى رأى المسيح فى يوم ، فى جزء من يوم . ومع ذلك تأثر به تأثيراً عجبياً . وارتعش أمامه وهو الوالى . وخاف

وبذل كل المحاولات التي يستطيع جنبه أن يبذلها، لكي ينقذ المسيح. وغسل يديه وقال لست أدري علة في هذا البار!!

المسيح حتى ساعة صلبه صنع خيراً وهو مسمر على الصليب: صنع خيراً مع اللص اليمين فوعده بالفردوس. وصنع خيراً بصاليبه، فطلب لهم المغفرة. وصنع خيراً بأمه، فعهد بها إلى يوحنا. وصنع خيراً بيوحنا، فأعطاه بركة وجود العذراء في بيته. وصنع خيراً بالبشرية كلها ففداها... صنع خيراً بقائد المائة، الشخص الذي ضربه بالحربة، فأمن به بعد صلبه... صنع خيراً بكل أحد.

المسيح كان يجول يصنع خيراً. وأنت يا أختي. هل تجول تصنع خيراً؟ الحياة المسيحية ليست حياة سلبية. أعنى أنه لا يكفي أن تقول أنا اليوم لم أعمل خطية... هذا من الناحية السلبية. إنما من الناحية الإيجابية إسأل نفسك ما هو الخير الذي فعلته في هذا النهار؟ ما هو الخير الذي فعلته مع كل إنسان قابلني؟

مفروض أن كل إنسان يقابلك، تعمل معه خيراً. ليس المطلوب منك أنك تبحث ما هي الخيرات التي أخذتها أنت؟ بل تسأل ما هي الخيرات التي أعطيتها لغيرك؟

فلان قابلنى . ما هى المنفعة التى أعطيتها له ؟ هل تحدثت معه حتى مل من حديثى ؟ أم أعثرته بكلام عن سيرة الناس ؟ فلان قعدت معه . وفضلت أمسك سيرة الناس وملأت أذنيه بالخطايا

ما هو الخير الذى عملته مع كل أحد ؟ هناك إنسان تعطيه كلمة منفعة ، وإنسان تعطيه قدوة صالحة . وإنسان تعطيه بركة - مساعدة - ابتسامة - كلمة حلوة - محبة - معونة فى أى شىء - تنقذه من مشكلة - تعطى له نصيحة - تريح نفسه - تعزیه .

اعمل خيراً . ينبغى أن تجول تصنع خيراً . كما كان سيدك . هذا هو المفروض فىك ، حتى إذا قلت « فلنشكر صانع الخيرات » نكون إبناً يشابه أباه فى هذه الصفة .

أريد أن يكون هذا تدريباً ننفذه فى الأسبوع المقبل : كيف نكون صانعين للخيرات ، فى كل يوم يمر بنا ، ومع كل أحد يلتقى بنا . بحيث لو قابلك أحد ، ولم تصنع معه خيراً ، توبخ ذاتك على تقصيرك .

أما إذا كنت يا أخى لا تستطيع أن تصنع خيراً ، فعلى الأقل قف فى مكانك ، ولا تصنع شراً بأحد .

« فلنشكر صانع الخيرات الرحوم الله » . لذلك مفروض أنك

تكون رحوماً . طوبى للرحماء ، فإنهم يرحمون . ولما تكون حنوناً على الناس ، يكون الله حنوناً عليك ، فالكتاب المقدس يقول «بالكيل الذى به تكيلون ، يكال لكم ويزاد . فإذا كنت أنت تكيل للناس بالرحمة ، ربنا يكيل لك بالرحمة ، ويزيدها . وإذا كنت تعامل الناس بالقسوة تأخذ قسوة وأكثر . بالكيل الذى به تكيلون يكال لكم ويزداد .

إذن كن طيباً مع كل أحد . وزع حنانك ، وزع محبتك ، على كل أحد . وزع خيرك على كل أحد . وزع كلامك الطيب على كل أحد ، اجعل كل أحد يباركك ، وكل أحد يحبك ، وكل أحد يشعر أن لك قلباً واسعاً يستطيع أن يسكن فيه ويستريح .

الله أبا ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح

الله :

نحن نشكر صانع الخيرات الرحوم . نشكره لأنه هو الله أبو ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح . شكرنا له باعتباره أنه هو الله ، نتذكر فيه أن الله هو خالق كل شيء ، وكل شيء فى يده . كون أن الله كامل القدرة ، كامل الإمكانية ، فى إمكانه أن يعمل كل ما يريد ، هذا يجعلنا نشكره على يده القوية فى حياتنا ، كإله .

نشكره لأنه هو الذى خلقنا ، وهو الذى يعرف احتياجاتنا ،
الله يعرف أننا نحتاج إلى هذه كلها قبل أن نطلب ودون أن نطلب
لأنه هو الله .

أبا ربنا ومخلصنا يسوع المسيح

في قولنا هذا ، نتذكر أن الله الذى نصلى له ، هو محب للبشر
جداً ، لدرجة أنه بذل ابنه الوحيد لكى لا يهلك كل من يؤمن
به بل تكون له الحياة الأبدية ، فنقول له نشكرك يا الله لأنك أنت
أبو ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح . نشكرك لأنك أبو الحنان ،
وأبو الفداء ، وأبو المسيح إلهنا الذى خلصنا بدمه .

مجرد أننا نتذكر كلمة المسيح إلهنا ومخلصنا ، يجعلنا نمتلىء
بالشكر ، لأن اسمه يذكرنا بالخلاص ، بالفداء ، يذكرنا أن الله
أخلى ذاته ، وأخذ شكل العبد ، وصار فى الهيئة كإنسان ، لكى
يخلصنا جميعاً . ونذكر الخلاص العظيم الذى تعجب منه الرسول
قائلاً : « فكيف ننجو نحن إن أهملنا خلاصاً هذا مقداره »
(عب ٢ : ٣) .

نقول له نشكرك يا الله أبو ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح ،
لأنك أحببتنا حتى المنتهى . فإذا كان حبك وصل لدرجة أنك
بذلت إبنك عنا ، فكم بالأولى الأمور التافهة التى نطلبها ؟

لماذا نشكر؟!؟

لأنه سترنا

نشكره أولاً لأنه سترنا . ما معنى أنه سترنا ؟ أى أنه لم يفضحنا ، ولم يكشفنا أمام الناس ، لم يظهر عيوبنا أمام كل أحد . هنا نبدأ معترفين أننا خطاه نحتاج إلى ستر.

إن الناس لو عرفوا شيئاً بسيطاً عن عيوبنا ، لاحتقرونا وأتعبونا وسخروا بنا . فكم بالأولى لو عرف الناس جميع العيوب التى فىنا !! لو أن الله كشف للناس جميع أفكارنا ، وجميع تدابيرنا الخفية ، وجميع شهواتنا وخطايانا ، التى نعملها ولا يعرف بها أحد !!

أحياناً يرتكب إنسان خطأ ، ويخاف جداً أن يعرفه شخص آخر ، ويخجل من ذلك إلى أبعد حد . ويفكر يا ترى هل عرف فلان أم لم يعرف ؟ وإن كان الخبر لم يصل له يقول : « اشكرك يارب لأنك سترت هذه الغلطة ، ولم تجعلها مكشوفة » .

فكم بالأولى الله الذى سترنا فى كل شىء . هو يرى كل عيوبنا ، ويصمت ويحتملنا . أما الناس فإنهم لو عرفوا عيوبنا لا

يرحمونا. حقاً «أقع في يد الله ولا أقع في يد إنسان، لأن مراحم الله واسعة» (٢صم ٢٤ : ١٤).

الله يرى كل العيوب، مع أنه قدوس، لا تتفق الخطيئة مع طبيعته. ومع ذلك، فهذا القدوس الذي لا حدود لقداسته يرى كل الخطايا، ويسكت. لكن الإنسان الخاطيء - الذي يقع هو أيضاً في الخطيئة - لو رأى خطايا الناس، لا يسكت. ولو رأى ولو حتى ١٠٠٠/١ من خطايانا لا يرحم!

لذلك نحن نشكر الله لأنه سترنا «ليس خفى إلا ويعرف ولا مكتوم إلا ويستعلن» (متى ١٠ : ٢٦). ومع ذلك لم يشأ الله أن يعرف الناس بخطايانا، ولا أعلمها للآخرين، وما زال يستره.

حتى في خطايانا التي نعترف بها، من حنو الله العظيم، قال إن الاعتراف بالخطايا يكون سراً على شخص واحد فقط، وهذا الشخص مقيد بقوانين كنسية لا تسمح له أن يقول حرفاً منها حتى لو ذبحوه لا يبوح به. ما أعجبك يارب. إلى هذه الدرجة تخبىء خطايانا وتحجبها وتسترها!؟

وكأنه يقول: حينما تعترفون بخطاياكم، نلقى عليها سترًا فلا تظهر. وأنا قابل هذا الإعتراف البسيط الذي يعرفه شخص واحد. لذلك نحن نشكره لأنه سترنا.

إنه يعرف أننا لا نحتمل الانكشاف والفضائح ، فسترنا .
سترنا أمام الأعداء الذين يشمتون بنا ، سترنا ونحن نكسر
وصاياهم ونجذب عليهم .

عندما نتذكر هذا ، ونشكر الله على الستر والتغطية ، ينبغي أن
يجول بفكرنا ما نكشفه من خطايا الناس ...

وكيف أننا نكشف ونعلن خطايا أخوتنا وخطايا كل أحد !!

الكتاب المقدس يقول « الكيل الذي به تكيلون ، يكال لكم
ويزداد » (مر ٤ : ٢٤) . إذا كنت تريد أن الله يستر ، خبيء
أنت أيضاً خطايا أخيك الإنسان . الله يستر وهو قدوس ، أفلا
يليق أن تستر خطايا أخيك وأنت خاطيء مثله ؟ لأنك لو كشفت
خطايا الآخرين تكون في خطر أن يكشف الله خطاياك . والمثل
يقول :

« من كان بيته من زجاج لا يقذف الناس بالحجارة »
فنحن أناس كلنا عيوب ، وربنا يسترها عن أعين الناس ،
فلنشكره على ذلك . وبدورنا نحن أيضاً يجب أن نستتر على خطايا
الناس . يوحنا ذهبي الفم يقول « إن كنت لا تستطيع أن تأخذ
خطيئة غيرك وتنسبها إلى نفسك ، وتحتمل الذنب بالنيابة عنه ،
وتضحى بذاتك من أجل خطيئته ، فعلى الأقل اصمت ولا تكشف
خطايا الناس » .

« إن كنت لا تستطيع أن تسد فم الذى يتكلم على أخيه
بالسوء، فعلى الأقل سد فمك أنت، ولا تتكلم على أخيك
بالشر... »

يقول المزمور « يارب من يسكن فى مسكنك أو من يصعد إلى
جبل قدسك إلا السالك بلا عيب، الفاعل البر، الذى يتكلم
بالحق فى قلبه، ولا يغش بلسانه، ولا يفعل بقريبه سوءاً، ولا يقبل
عاراً على جيرانه. » (مز ١٥). إذن مجرد قبول العار على جيرانه،
مجرد سماع كلمة اساءة عليهم، أمر ردىء. فإذا فعل ذلك أحد
أمامك، قل له « نشكر الله لأنه سترنا... فمثلما سترنا، يجب علينا
نحن أن نستر الناس الآخرين ».

آدم حاول أن يستر نفسه بأوراق التين ولم تنفع. لم تستطع
أوراق التين ولا أغصان الشجر أن تخفيه. ظل عرياناً أمام الله لا
يستتر. وهو نفسه قال « لأنى عريان أختبأت ». إنك لم تعرف
أن تستر نفسك يا آدم، ولا حواء أيضاً... أعرف إذن أن الله
هو الذى يسترنا. نشكره لأنه سترنا.

الله عجيب بشكل لا يوصف، نحن نعتدى عليه ونكسر
وصاياه، وهو ينجىء ويستر! أما نحن فدائماً نشتكى ونتذمر،
وفى الشكوى والتذمر نكشف خطايا الناس وعيوبهم
وضعفاتهم، ولا نحتمل...



شخص مثل أيوب الصديق ، قطعاً كانت له ضعفاته وأخطاؤه ، لأن «الجميع زاغوا وفسدوا وأعوزهم مجد الله ، ليس من يعمل صلاحاً ليس ولا واحد» (مز ١٤). كان شيطان المجد الباطل يزحف قليلاً قليلاً إلى قلب أيوب . ومع ذلك لما وقف الشيطان أمام الله ، قال له الرب «هل جعلت قلبك على عبدى أيوب . رجل كامل ومستقيم ويفعل الخير ويحيد عن الشر وليس مثله» (أى ١ : ٨).

إلى هذه الدرجة ؟ أنت يارب تعلم كل شىء ، تعرف المجد الباطل الذى يزحف إلى قلب أيوب ، وعارف أنه «بار فى عينى نفسه» (أى ٣٢ : ١) وعارف أن قلبه منتفخ بالغنى والثروة والبنين والقوة المحيطة به (أى ٢٩) . ومع ذلك تقول عبدى أيوب ليس مثله فى الأرض ، رجل كامل ومستقيم ، ويفعل الخير ويتقى الله ويحيد عن الشر؟! ما أرسك يارب كم تستر كثرة من الخطايا؟!

وبعد ذلك نرى أيوب قد شق ثيابه وجز شعره ، وقال «الرب أعطى الرب أخذ». والرب لم يؤاخذ على جز الشعر وشق الثياب . وفى أول مقابلة له مع الشيطان بعد ذلك . قال له «هل وضعت قلبك على عبدى أيوب لأنه ليس مثله فى الأرض ، رجل كامل ومستقيم» (أى ٢ : ٣).

ونحن نسأل أيمن أن يكون كاملاً وقد جز شعر رأسه؟
ويجب الرب نستر ونغطى.

هذا هو اسلوب الله ، أما نحن فإذا عرفنا غلطة عن واحد ،
ننشرها في كل مكان... ننسى الله الذى سترنا ، ونخبر حتى تراب
الأرض بما حدث ، وكلما نقابل أحداً نقول له : أم تسمع ؟ أم لم
تعرف . ألم تدر ما جرى ؟ لم تر ما حدث ؟ وما أكثر الكلام...
وبعد هذا الكلام كله ، نقول فلنشكر صانع الخيرات لأنه
سترنا !!

عجباً مادام قد سترك ، أستر أنت أيضاً . نحن نريد أن
يكون الستر لنا فقط . نكون نحن مستورين ، ويكون غيرنا
مكشوفين . الستر لنا نحن فقط ، أين الآية التى تقول : « تحب
قريبك كنفسك » . أنت لا تحب أن نفسك تبقى مكشوفة . فكذلك
لا يصح أن يكون مكشوفاً هو أيضاً .

فلنشكر صانع الخيرات لأنه سترنا .

إذا كنت يا أخى بدون عيوب تحتاج إلى ستر ، يمكن يكون لك
حق أن تكشف غيرك . أما إذا كنت أنت نفسك تحتاج إلى تتغطى
وتستتر ، فعامل الناس بما تحب أن يعاملوك به ...

عملية الغفران هى عملية تغطية ، عملية ستر ، الله يأخذ
خطيتنا ، ويلقى سترأ عليها ، ويغطى عليها . وهذه هى

الكفارة أى التغطية.

والكافر فى اللغة العربية هو الشخص الذى يغطى نعمة الله فلا تظهر. وكانوا فى الأدب العربى القديم قبل الإسلام يطلقون كلمة « كافر » على الفلاح الذى يضع البذرة فى الأرض ويغطيها. فلما أتى الإسلام حدها فى معناها الحالى. حتى أن كلمة cover بالإنجليزية تعطى نفس المعنى، أى يغطى.

وكون أن الله يكفر عن خطايانا، معانها أن الله يضع على خطيتنا دمه الفادى، فتتغطى بالدم ولا تظهر لأحد، ولا حتى أمام العدل الإلهى...

وَأَعَانَا

فلنشكر صانع الخيرات الرحوم الله... لأنه سترنا وأعاننا: ولولا معونته، ما كنا نستطيع أن نتقدم خطوة واحدة. نحن كثيراً ما ننسى معونة الله. ننسى كثيراً عمل النعمة فىنا. ننسى أن الله أعاننا لأننا ضعفاء، ولا نستطيع أن نعمل شيئاً «لأنكم بدونى لا تقدرُونَ أن تفعلوا شيئاً» (يوه: ١٥ : ٥)، هكذا قال السيد المسيح. فنحن نشكر الله لأنه سترنا وأعاننا. من جهة، ستر على خطايانا وأخفاها. ومن جهة أخرى، أمسك بأيدينا وأقامنا، وجعلنا نعمل خيراً.

أعمالنا : إما شر ، وإما خير . بالنسبة للشر، نقول «سترنا» وبالنسبة للخير، نقول «أعاننا»، لأنه لولا أنه أعاننا ما كنا نستطيع أن نعمل أى عمل خير.

كل عمل طيب تعمله ، يدل على أن هناك معونة من النعمة أمسكت بيدك . لولا هذه المعونة، ما كنت تستطيع أن تعمل شيئاً . والله يجب أن يعيننا، ويكره أن نعتمد على معونة بشرية «معاون الرجل الذى يتكل على الإنسان، ويجعل البشر ذراعه» (أر ١٧ : ٥) . - الله هو الوحيد الذى من عنده العون والمساعدة- هو الذى أعاننا .

حاول أن تدخل كلمة «أعاننا» فى كل عمل من أعمالك، لكى ترجع الفضل لله فى كل شىء . وإن استطعت فى يوم أن تعمل أى عمل من أعمال العبادة، قدرت أن تصلى ، أو تتأمل ، أو تقرأ، أو تضرب مطانيات ، أو تصوم ... قل : اشكر الله لأنه أعاننا .

لكن الإنسان الذى ينسى أو ينكر معونة الله ، هذا يقع فى الكبرياء ، ويظن أنه بقوته وذراعه استطاع أن يعمل شيئاً . تلميذ ينجح . تقول له «مبروك» يقول لك إننى ذاكرت مذاكرة جبارة، وينسى كلمة أعاننا، وبذلك يقع فى المجد الباطل . إذا ذكرت معونة الله ، يمكن أن يديمها عليك باستمرار .

قال ماراسحق « لا توجد موهبة بلا زيادة إلا التي بلا شكر» .

إذا لم تشكر الله على معونته ، يرفع معونته عنك ، لكي
تشعر بضعفك . ولما تشعر بضعفك ، تدرك أنك لما كنت قائماً
على قدميك ، كانت معونة من الله . فلنشكر صانع الخيرات ،
لأنه أعاننا وعرفنا طريقه ، أعاننا وكشف لنا إرادته ، وأعاننا
وأعطانا أن نعبده ، وأعطانا أن نعمل شيئاً به ، في شركة روحه
القدوس . فلنشكر صانع الخيرات الرحوم الله ...
لأنه سترنا وأعاننا وحفظنا .

وحفظنا

من جهة خطايانا ، نقول نشكر الله لأنه سترنا . ومن جهة
حياة البر التي نسلك فيها أمام الله ، نقول أعاننا . وبعد ذلك نقول
« وحفظنا » لأننا نعيش في حفظ الله « إسم الرب برج حصين ،
يركض إليه الصديق ويتمنع » (أم ١٨ : ١٠) .
فالله حفظنا . ونحن لا نستطيع أن نحفظ أنفسنا . « حافظ
الأطفال هو الرب » (مز ١١٤ : ٥) . والمقصود بالأطفال هم
الناس الذين يسلكون كأطفال أمام الله . أنت تقدر أن تمشي
وحدك في ميدان واسع . وتستطيع أن تتحفظ من السيارات . لكن



الطفل الصغير لا يستطيع أن يمشى وحده، وتجده يمسك بيد والده،
ويشعر أنه لا يقدر أن يمشى إلا وهو في يد أبيه...

كذلك نحن في حياتنا على الأرض بهذا الشكل: إن
سلكنا كأطفال، نشعر أنه بدون الله ليست لدينا القوة التي
نحفظ بها أنفسنا. ولكن الرب هو الذي يحفظنا.

الله هو الذي يحفظ الناس، وهو الذي يرعاهم، لأنه هو الراعي
الصالح. الخراف تكون موجودة، وغير مسئولة عن حماية نفسها.
فنحن نقول نشكر الله لأنه حفظنا.

ولكن إن كنا نحن لم نقع في الخطية، فلنشكر الله لأنه
حفظنا. هو الذي حفظنا، ومنع عنا الشر. وهو الذي منعنا عن
أن نقع في التجربة. أو أثناء الخطية أعطانا قوة من الداخل،
أو جعل موانع من الخارج لم تسمح بأن نخطف...

خطاياك على نوعين: خطية وقعت فيها فعلاً، وتشكر الله
لأنه سترك، وخطية لم تقع فيها بعد، وتشكر الله لأنه حفظك
منها ومن الوقوع فيها. فإذا كنت أنت سائراً في بر أمام الله، لا
تفتخر وإنما قل نشكر الله لأنه حفظنا. لولا أن الله حافظ علينا
لكننا سقطنا. الذين سقطوا لم يكونوا أضعف منا. هناك جبايرة قد
سقطوا. والخطية «طرحت كثيرين جرحى وكل قتلها
أقوياء» (أم ٧: ٢٦).

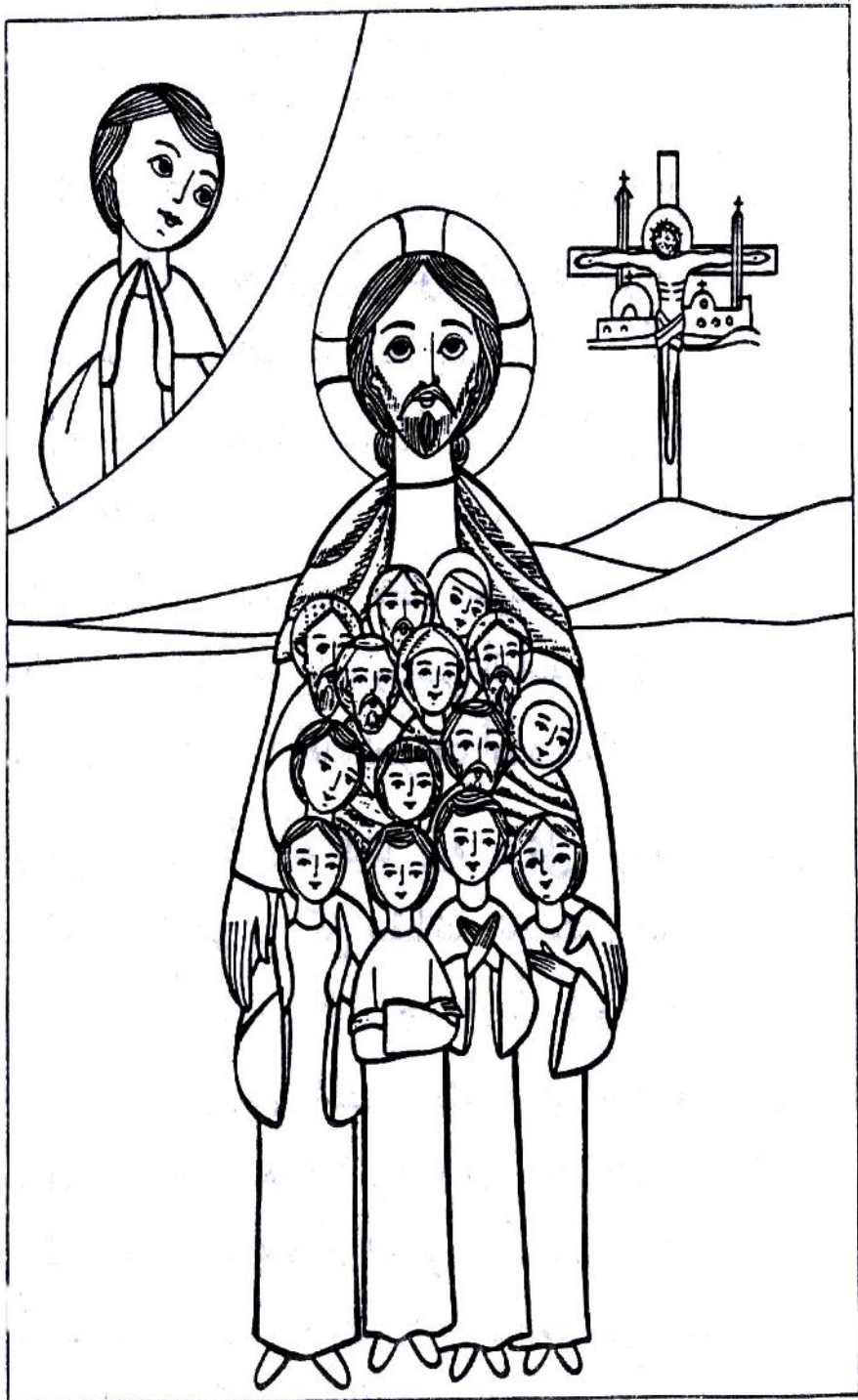
وقبلنا إليه

نشكر الله لأنه حفظنا وقبلنا إليه . كلمة « قبلنا إليه » عبارة لطيفة جداً . لأنه لما نخطيء في حق الناس يرفضوننا . إن تكلم واحد منا عن غيره كلمة غير لائقة يقول « لا أريد أن أرى وجه هذا الإنسان مرة أخرى » وحتى إن جاء ذلك الأخ ليعتذر إليه ، قد يرفض مقابله .

ونحن نخطيء أمام الله خطايا عديدة . نتحدى سلطانه ، ونجدف عليه ، ونكسر وصاياه ، وننجس أقداسه وهيكله . ثم نقف أمامه ونقول له « أبانا » ! أهذه تصرفات أولاد الله ؟

ولكن نشكر الله لأنه قبلنا إليه ، على الرغم من كل تعدياتنا ، على الرغم من كل سقطاتنا ونجاستنا . إن الله يقبلنا إليه ويقول « من يقبل إلي لا أخرجته خارجاً » (يوحنا : ٦ : ٣٧) .

ربنا طويل الأناة ، باستمرار فاتح ذراعيه « لا يخاصم إلى الأبد ولا يحقد إلى الدهر » (مز ١٠٣) . نشكره لأنه قبلنا إليه . مجرد وقوفنا أمام الله ، مجرد أن الله يرضى أن يسمع صلواتنا ، مجرد أن الله يدخلنا إلى بيته أو هيكله ، مجرد أن الله لا ينزع روحه منا ، كل هذه الأشياء نشكره عليها لأنه قبلنا إليه .



أنت يارب طيب . مهما أخطأنا في حقك ، لا تزال تقبلنا إليك . الناس لا يقبلوننا مع أنهم أشرار مثلنا . لكن أنت القدوس الكلي القداسة تقبلنا إليك . أنت باستمرار فلاح ذراعيك .

أشكر الله يا أخى من أجل هذا ، كلما تكثرت خطيتك أمامك ، كلما تشعر أن خطيتك بشعة في عينيك ، وعلى الرغم من كل ذلك ترى الله لا يزال يحتفظ بك كابن .

إنه قال عن الابن الضال الذى ترك بيته وبيد أمواله «ابنى هذا كان ميتاً فعاش ، وكان ضالاً فوجد» (لوقا : ١٥ : ٣٢) . ما هذا يارب حتى وهو ميت وضال تعتبره ابنك؟! ... «نعم اعتبره ابنى . بل أن الله لما رأى ذلك الابن من بعيد تحزن وركض وعانقه وقبله . كل هذا يدعوننا أن نشكر الله لأنه يقبلنا إليه .

لم يصنع معنا كحسب خطايانا ، ولم يجازنا حسب آثامنا . لأنه مثل ارتفاع السموات فوق الأرض ، قويت رحمته على خائفيه . كبعد المشرق عن المغرب ، أبعد عنا معاصينا . كما يتراءف الأب على البنين ، يتراءف الرب على خائفيه» هكذا قال داود (مز ١٠٣ : ١٠ - ١٣) . فنحن نشكر الله لأنه قبلنا إليه .

ولعل أحداً يسأل هل كل خطية لها مغفرة ؟

في إحدى المرات سأل أخ أحد القديسين عن هذا الموضوع فقال له : إن الله يأمر أن تغفر لأخيك إذا أخطأ إليك في اليوم ٧ مرات سبعين مرة. فإن كنت أنا الإنسان البشري ممكن أن أغفر لأخى ٧٠x٧ في اليوم الواحد، فكم بالأولى الله الذى لا تنتهى مراحه؟!

إن الله حينما يقبلنا إليه إنما يجعلنا نخجل أمام أنفسنا، لأن ربنا لا يكافئ الشر بالشر، وإنما يعامل الخطاة بتحنن، ويعاملنا بشفقة، لا يصنع معنا حسب خطايانا .

فلنشكر صانع الخيرات لأنه سترنا وأعاننا وحفظنا وقبلنا إليه وشفق علينا وعضدنا .

وشفق علينا وعضدنا

الله يشفق علينا لأنه يعرف ضعفاتنا ، يعرف طبيعتنا الطينية التى نحن فيها. الله يأخذ موقف الشفقة، أما نحن فباستمرار نقف موقف القضاة .

كل واحد فينا يهوى أن يلبس رداء القضاة ويحكم : فلان قد أصاب، وفلان قد أخطأ، فلان هذا يستحق، بينما ذاك لا يستحق . لكن ربنا يعامل بالحنو والشفقة والطيبة .

هذه الأشياء كلها تجعلنا نحن أيضاً مجبرين أن نعامل بالمثل ،
كما قبلنا الله إليه ، ينبغي أن نقبل الناس ، وكما أشفق
علينا ، ينبغي أن نشفق على الناس . وكما سترنا ينبغي أن نستتر
الناس وهكذا في باقى الطلبات .

نشكره أيضاً لأنه عضدنا ، أى قوانا وأيدنا فى كل ما نفعله .
ونشكره لأنه أتى بنا إلى هذه الساعة .

وأتى بنا إلى هذه الساعة

لما تشكر ربنا لأنه أتى بك إلى هذه الساعة ، اشعر أن
حياتك كان من الممكن أن تنتهى فى أى لحظة . حياتك منحة
تتجدد يوماً بيوم ، وساعة بساعة ، وثانية بثانية . أشكر ربنا لأنه
أتى بك إلى هذه الساعة ، لو كنت مت وأنت ترتكب خطية
معينة ، ترى أى مصير كان سيدركك؟! وما أكثر الأمثلة على
الميتات الفجائية .

نشكر الله لأنه أتى بنا إلى هذه الساعة - مد فى عمرنا حتى
الآن . لم يأخذنا فى خطيتنا . لم يجعل الأرض وقتها تفتح
فاها وتبتلعنا ، كما فعل مع قورح ودانان وإيرام . لم يجعل
النار تنزل من السماء وتحرقنا كما فعل مع سادوم . هل تظنوا أن
خطايا هؤلاء الناس أصعب من خطايانا ؟ من قال ذلك ؟

ومع ذلك فإن الله لم يعاملنا حسب خطايانا - لم يعاقبنا كما عاقب الآخرين ، وإنما أتى بنا إلى هذه الساعة .

وليس ذلك فقط ، بل أتى بنا إلى ساعة الصلاة هذه ، إلى ساعة التأمل هذه ، إلى ساعة الشكر هذه . وأوقفنا أمامه نصلي ونشكر ونتضرع إليه . ما أكثر فضلك يارب . لو كنت أخذتني في الساعة الفلانية ، حينما كنت أرتكب الخطية الفلانية ، كنت ضعت . لكن أنت مدت في عمري ، وأتيت بي إلى هذه الساعة ، فلتكن هذه الساعة مقدسة ومباركة لك . فلتكن هذه الساعة بداية حياة جديدة أبدؤها معك .

شكر الله في الماضي ، يشجعنا من جهة حياة المستقبل ونحن نشكر الله لأنه أتى بنا إلى هذه الساعة ، بعد ذلك نقول :

هو أيضاً فلنسأله أن يحفظنا في هذا اليوم المقدس

ستر الله علينا في القديم ، يشجعنا أن نطلب منه الستر في المستقبل . صحيح أن ربنا كان معنا في القديم . ولكن إذا تخلى عنا الآن ، ضعنا . ماذا تفيد حياتنا القديمة مهما كانت مملوءة بالبر والقداسة والتعفف ، إن كنا اليوم نسلك في طريق الخطية؟! المهم هو حاضرننا ومستقبلنا لذلك نقول : هو أيضاً فلنسأله أن يحفظنا في هذا اليوم المقدس وكل أيام حياتنا .

كثيرون بدأوا حياتهم بداية مقدسة ، وأنتهوا إلى نهاية شريفة. بولس يقول : «لأن كثيرين يسرون ممن كنت أذكرهم لكم مراراً والآن أذكرهم أيضاً باكياً وهم أعداء صليب المسيح الذين نهايتهم الهلاك الذين إلهم بطونهم ومجدهم في خزيمهم الذين يفتكرون في الأرضيات» (في ٣ : ١٨ - ١٩). وكثيرون بدأوا بالروح وكمولوا بالجسد (غل ٣ : ٣).

سليمان الحكيم بدأ حياته بداية طيبة . ولكن في آخر أيامه بخر للأصنام (١ مل ١١) ، مع أنه مملوء حكمة ، وقد أعطى حكمة وفهماً أكثر من جميع الناس ! لذلك نطلب من الله - كما حافظ علينا في القديم - أن يحافظ علينا أيضاً في المستقبل .

وهو أيضاً فلنسأله أن يحفظنا في هذا اليوم المقدس . لماذا نقول اليوم المقدس ؟ لأن كل يوم من أيام حياتنا هو يوم مقدس . حياتنا كلها هي حياة مقدسة يملكها الله . لأننا أشرتنا بثمن (١ كو ٦ : ٢٠) ، إننا هياكل للروح القدس ، والروح القدس ساكن فينا (١ كو ٣ : ١٦) . كل يوم من أيام حياتنا هو يوم مقدس ، لأنه ملك الله . فلنسأله أن يحفظنا في هذا اليوم المقدس وكل أيام حياتنا .

وكل أيام حياتنا

لا نطلب أن يحفظنا الله في يوم معين، وإنما كل الأيام، فلنطلب أن يحفظنا الله كل أيام حياتنا، لأن يوماً واحداً يمكن أن يضيع الحياة كلها. خطية يوم واحد يمكن أن تتلف الحياة كلها. كل ما تبنيه طول عمرك، يمكن أن تهدمه في يوم واحد، فيضيع تعبك كله كأن لم يكن. لذلك نطلب من الله أن يحفظنا يوماً بيوم، لأننا بدون حفظه لنا نشابه الهابطين في الجب.

نطلب من الله أن يحفظنا في هذا اليوم، لأننا لا نعرف ما هي التجارب التي تصيبنا منه، ولا هي الشرور والعثرات التي ستصادفنا، ولا من هم الناس الأشرار الذين سنقابلهم، ولا ما هي الخطية التي طرحت كثيرين جرحى وكل قتلاها أقوياء (أم ٧: ٢٦). المسألة تحتاج إلى حفظ من الله في هذا اليوم المقدس وكل أيام حياتنا حتى تنتهي غربتنا بسلام.

في سيرة القديس مكاريوس نجد أنه كان حريصاً حتى آخر لحظة، لدرجة أنه لما فارقت روحه جسده طاردته الشياطين قائلة «قد خلصت يا مقارة». فقال «لا أعرف بعد». كان

خائفاً من أن روحه يسقطها شيطان الكبرياء وهي خارج الجسد .
ولكنه - لما وصل إلى داخل الفردوس - حينئذ استطاع أن يقول
«إننى الآن برحمة الله قد خلصت» ! فلنسأله إذن أن يحفظنا
كل أيام حياتنا بكل سلام الضابط الكل الرب إلهنا .

بكل سلام

ليتنا نترجم الكلمة «بكل سلام» .

بدلاً من «بكل سلامة» فهذه هي الترجمة السليمة . نطلب أن
نعيش في سلام : من جهة علاقتنا بأنفسنا ، وعلاقتنا بالناس ،
وعلاقتنا بالله . أحفظنا في هذا اليوم المقدس في سلام . أى سلام
مع أنفسنا ، غير منقسمين على ذاتنا . وفي سلام الناس ، لسنا في
غضب ولا حقد ولا خصومة مع أحد . و سلام مع الله .

الضابط الكل الرب إلهنا

إنه ضابط الكل ، مسئول عن الكل . هو الذى خلقنا وهو
لذى يحفظنا .
بعد هذا السلام ماذا يجب أن نقول ؟ نوجه طلباتنا ونقول
«نشكرك يارب» ونكرر نفس العبارات .

في الأول دعوة إلى الشكر: «فلنشكر». ثم نقول «نشكرك» أي نقوم بواجب الشكر فعلاً. وعلى أي شيء نشكر؟
نشكر:

على كل حال ومن أجل كل حال وفي كل حال

ينبغي أن يكون الشكر عادة لنا ، نقابل بها أعمال الله كلها .
ليس هناك أعمال نشكر الله عليها ، وأعمال نتذمر منها ، لا ، لا بد
أن نشكره على كل شيء ، ليست هناك أمور نشكر الله عليها ،
وأمر نتعب منها ونبكي . لا ، الإنسان الروحي يشكر على كل
حال لأن « كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله »
(روا : ٢٨ : ٨) .

الشخص الذي يحب الله ، يجد في كل شيء خيراً وبركة ،
ولعل البعض يسأل : وماذا عن المصائب ؟

نجيب : كان ممكناً أن تكون المصيبة أشد وأصعب . ونشكر
الله أنها وصلت إلى هذا الحد فقط !
مثال لذلك :

لنفرض أن شخصاً استقل عربته ، ولم تحدث له حوادث ،
يشكر الله طبعاً . فإن حدثت له حادثة يشكره أيضاً : فالحادثة التي
تسببت في رضوض ، كان يمكن أن ينتج عنها كسر أو بتر ، ألا

يستحق هذا شكراً؟! والحادثة التي كانت نتيجةها البتر، كان
ممكناً أن تتسبب في وفاة. فلنشكر الله على حفظه للحياة.

وحتى إن مات، يشكر الله الذي أطلقه من هذا العالم،
ليتمتع بالأبدية السعيدة. ولم يجعل نهاية حياته بمرض متعب،
يستمر عذابه مدى زمناً طويلاً بلا شفاء...

إننا نشكر، عندما نقارن حالنا بما هو أسوأ.

أما إن قارناه بما هو أفضل، فقد نتذمر...!

أيضاً من مشاكلنا في عدم الشكر أمران:

أ - أننا نقسم الأمور إلى جيد وورديء. فنتعّب من الأمور
الرديئة. وقد نشكر على الحسنة، وقد لا نشكر...

ب - إننا نقسم أيضاً الأمور الجيدة إلى كبيرة وبسيطة. فنشكر
على الخير الكبير، ولا نشكر على الخير الذي نحسبه بسيطاً!! بينما
الكل يحتاج إلى شكر.

أليس منجلاً أن نحسب بعض الخيرات بسيطة لا تستحق
الشكر؟!!

مثال ذلك: نحن جالسون الآن في هذا الاجتماع، والنور
الكهربائي مضيء بلا إشكال. هل شكرنا الله على هذا؟! ألا
نذكر أنه في أحد الأيام أنقطع النور، وتعطل الميكروفون، واستمر

انقطاع التيار الكهربائي حتى الساعة إلا ربع، وكاد الاجتماع
يفشل... ثم لما عاد التيار الكهربائي شكرنا الله...

أترانا نشكر على وجود النور حالياً؟ أم أننا لا نشكر إلا على
وجود النور حالياً؟ أم أننا لا نشكر إلا إذا انقطع التيار وعاد؟!!

لا شك أن هناك أشياء كثيرة لا نشكر الله عليها، وذلك
لأننا نظن أنها لا تستحق الشكر!

مجرد أنك تسير يا أخى على قدميك أمر يستحق الشكر، لأن
هناك أشخاصاً لا يتمكنون من السير على أقدامهم... مجرد أنك
جالس، أمر يستحق الشكر، لأنه يوجد أناس نائمون الآن على
فراش المرض...

حقاً إن الصحة تاج على رؤوس الأصحاء، لا يشعر به إلا
المرضى. والأصحاء لا يشكرون!!

أنت يارب تستحق الشكر على كل شيء: على النعم التي
نراها، والنعم التي لا نشعر بها. تستحق الشكر على كل حال...
لأنك سترتنا وأعنتنا وحفظتنا، وقبلتنا إليك، وأشفقت علينا
وعاضدتنا، وأتيت بنا إلى هذه الساعة.

من أجل هذا :
نسأل ونطلب من صلاحك يا محب البشر

من أجل أنك عملت معنا كل هذا، نسأل ونطلب ...

إن نعمك القديمة تشجعنا على أن نطلب شيئاً جديداً.
حنانك القديم شجعنا أن نقرب إليك ... من أجل أنك طيب
وحنون وشفوق، ومن أجل أنك تحافظ علينا، ومن أجل الماضي
كله، نحن نسأل ونطلب من صلاحك يا محب البشر...
كل تصرفاتك معنا تدل على أنك محب البشر، بل أنك
أنت نفسك المحبة. والله محبة. نحن نطلب من صلاحك يا محب
البشر، ليس لأننا نستحق ... كلا، بل أننا نطلب من أجل أنك
محب وصالح. نطلب أن نكمل هذا اليوم المقدس وكل أيام حياتنا
في مخافتك.

أمنحنا أن نكمل هذا اليوم المقدس

الإنسان وهو يصلي هذه الصلاة، يشعر أن كل يوم يمر عليه
عبارة عن نعمة من الله أعطيت له. نحن لا نستطيع بقوتنا ولا
بإرادتنا أن نكمل يوماً واحداً في مخافة الله، إن لم يكن هذا
عملاً من أعمال نعمة الله القدوس. لأنه قال «بدونى لا تقدرُونَ
أن تعملوا شيئاً» (يوه : ١٥ : ٥).

فنحن نقول له: يارب أعطنا يوماً من عندك، يوماً صالحاً
مقدساً، نكمله بعمل روحك القدوس فينا. وطبعاً روح الله لا

يعمل في الإنسان الذي لا يريد أن يعمل .

الله لا يرغمنا على المعيشة معه ، وإنما حياتنا كلها عبارة عن شركة مع الروح القدس . الروح القدس يشترك مع إرادتنا في انقاذ أنفسنا من الهلاك .

لو أن الروح القدس تخلى عنا ، لا يمكن أن نخلص . ولو إرادتنا رفضت أن تعمل مع الروح القدس ، لا يمكن أيضاً أن نخلص . لأن الله لا يرغم إنساناً على السير في طريقه .

«أمنحنا أن نكمل هذا اليوم المقدس» . لتكن هذه يارب هبة منك ، منحة ، عطية مجانية من عندك ، أن نكمل هذا اليوم في مخافتك ، فيكون يوماً مقدساً ...

إننا نعتبر كل يوم من أيام حياتنا يوماً مقدساً .

لأن حياتنا كلها مقدسة للرب . ملك له لأنه اشتراها بدمه . كل يوم من أيام حياتنا ، بل كل ساعة منها هي ساعة مقدسة . كل دقيقة ، كل لحظة في حياتنا هي أيضاً مقدسة . لأن حياتنا ملك للرب الذي قدسها بدمه الطاهر . حياتنا ليست ملكاً لنا حتى نتصرف فيها كما نريد . إنها ملك للرب ، والرب هو المتصرف فيها لا نحن .

لسنا نقول فقط «أمنحنا أن نكمل هذا اليوم المقدس» بل أيضاً «وكل أيام حياتنا» .

وكل أيام حياتنا

ليس هذا اليوم فقط ... فمن الجائز أن نسلك اليوم حسناً،
ونخطيء غداً. ونهلك !! من يعرف.

أنت لا تعرف يا أخي حياتك كيف تنتهي ، فطالما أنت
في الدنيا ، لا بد أن تكون محترساً وخائفاً. كثيرون كانوا جابرة
في الروح ، ولم يكملوا حسناً .

لذلك نحن نذكر القديسين الذين كملوا حياتهم في
الإيمان ونقلوا هكذا في المجمع :

ἐταρξωκ ἐβοα σεη ἐπραστ

أى الذين كملوا في الإيمان . أوعى تعتبر أنك النهاردة
كويس ، وتقول أنا بقيت قديس . جازبكره تفقد قداستك !
وما أدراك؟! لذلك نحن نقول «أمنحنا أن نكمل هذا اليوم
المقدس ، وكل أيام حياتنا» .

القديس يوحنا القصير . عندما كان يرى شخصاً يخطيء ، كان
يبكى عليه ويقول « هذا الشخص أخطأ اليوم وقد يتوب ،
وربما أخطيء أنا غداً ولا أتوب » !!

ماذا أدرانا كيف تكون النهاية ... !

إننا نقرأ عن إثنين: أحدهما كان لصاً والثاني تلميذاً من تلاميذ السيد المسيح.

اللص ذهب إلى الفردوس، وتلميذ المسيح هلك ومات منتحراً!

من أجل هذا يجب أن نحترس إلى النهاية، كما يقول الكتاب «أنظروا إلى نهاية سيرتهم وتمثلوا بإيمانهم» (عب ١٣ : ٧). ولا يصح أن نفتر يوم صالح مر علينا.

هناك أشخاص إذا مر عليهم يوم صالح، يظنون أنها درجة روحية قد صعدوا إليها، ولن ينزلوا منها ثانية.

فيقول الواحد منهم: إن الخطية الفلانية قد ابطلتها وانتهت من حياتي. من قال أنها إنتهت؟ أليس من الجائز أنك ابطلتها اليوم، وتحارب بها غداً؟! أو ابطلتها هذه السنة، وتسقط فيها في السنة المقبلة. صلّ إذن أن يجعل الرب يومك هذا مقدساً، وكل أيام حياتك أيضاً...

احسب أيام حياتك، باليوم. واعرف وأنت تصلى هذا الجزء من صلاة الشكر، إن كل يوم يمر عليك لن يرجع، مهما بكيت عليه بدموع وندمت. مهما بكيت عليه بدموع ومهما ندمت عليه بدموع. لا يمكن أن يرجع ثانية. إنه يوم من أيام حياتك قد ضاع وقبر في الأبدية، ولا يعود مرة أخرى.

لذلك انقذ أيام حياتك ! انقذها باليوم .

إن الله يحسب حياتك باليوم، فيقول « اذكر خالقك في أيام شبابك » (جا ١٢ : ١). لا تجعل ولا يوم من أيام حياتك يفلت . « امنحنا أن نكمل هذا اليوم المقدس وكل أيام حياتنا » ... لذلك نصلى ونقول : لا تسمح يارب بأن يوماً واحداً من أيام حياتنا يكون عاطلاً عن النعمة، أو أن يكون مقفراً من عمل الخير. أو أن يكون ملكاً للشيطان .

عندما تخرج روحك من جسدك أيها الأخ، ويمسك بها الشيطان، ويقول لها « تعالي نتفاهم من جهة أيام حياتك على الأرض : هل كانت ملكك أم ملكى ؟ » ...

من يعرف ؟ ربما كانت كلها ملكاً له !! ربما يقول لك الشيطان : كل يوم من أيام حياتك كان ملكاً لى . هل حدث أن يوماً من أيامك لم أدخل فيها ؟ . هل مرّ عليك يوم بدون خطية وبدون طاعتي ؟!

كل يوم من أيامك دخلت فيه، كما يدخل الخيط في حبات المسبحة !:

يا للهول ! لذلك صلّ باستمرار وقل : امنحنا أن نكمل هذا اليوم المقدس، وكل أيام حياتنا ...

البعض يظن أن الحكم على أيام حياتنا يكون بالميزان : توضع أيام الشر في كفة، وأيام الخير في كفة. ويرى الله أيهما يرجح!! كلا، فهذا لن يحدث.

فمن الجائز أن يوماً واحداً من حياتك، يضع الحياة كلها!!

هل كان أبونا آدم يخطيء كل يوم؟! كلا، كانت حياته في الجنة كل بر وبساطة، لا يعرف فيها شراً... وكذلك كانت حياة أمنا حواء... ولكنهما في يوم واحد أكلا من الشجرة، فانتهت كل سيرتهما في الجنة!

كلها ضاعت!! ضيعها يوم واحد، بل ربما ساعة واحدة، وربما دقيقة أو لحظة.

فنان عظيم يسك لوحته ويبدأ أن يرسم عليها رسماً جميلاً جداً... لوحة فنية رائعة، أنفق شهراً في ابداعها... ثم في لحظة انسكبت عليها زجاجة حبر. ألا تكون هذه اللحظة الواحدة قد أضاعت تعب الشهر كله؟!...

لذلك نحن نصلى ونقول: امنحنا أن نكمل هذا اليوم المقدس وكل أيام حياتنا بكل سلام مع محافظتك.

أعطنا أن نكمل هذه الأيام بكل سلام :

بكل سلام

- سلام بيننا وبين الله .
- سلام بيننا وبين الناس .
- سلام بيننا وبين أنفسنا .
- سلام بين الجسد والروح . لا يشتهي الواحد منهما ضد الآخر .
- امنحنا أن نكمل هذا اليوم المقدس وكل أيام حياتنا بكل سلام .

مع مخافتك

كلمة «مع مخافتك» . كلمة جميلة ولطيفة . لماذا؟ لأن البعض حينما يبدأ حياته مع الله... أحياناً ينسى مخافة الله وسط محبة ربنا . ويقول المحبة تطرد الخوف إلى خارج .

صحيح أن الرسول يقول «المحبة الكاملة تطرد الخوف إلى خارج» (١يو٤ : ١٨) . لكن من فينا وصل إلى المحبة الكاملة؟! الذي وصل إلى المحبة الكاملة ، وصار العالم عنده مثل النفاية واستطاعت محبة الله فيه أن تحرق كل شهوة عالمية . مثل هذا لا يخاف .

أما نحن فلم نصل إلى درجة الكمال هذه... لم نصل إلى المحبة الكاملة التي فيها نحب الله من كل القلب والفكر

والإرادة... مازال العالم له موضع فينا ، ولذلك نحن نخاف ...
يقول الرسول «سيروا زمان غبرتكم بخوف» (١بط ١ :
١٧). وأيضاً «تمموا خلاصكم بخوف ورعدة» (في ٢ : ١٢).
نخاف لأن «عدونا مثل أسد زائر يلتمس من يبتعله» (١بط ٥ :
٨). نخاف لأن الخطية «طرحت كثيرين جرحى وكل قتلاها
أقوياء». نخاف لأن كثيرين بدأوا بالروح وكملوا بالجسد.
نخاف لأننا لسنا أقوى من الجبابرة الذين سقطوا. لسنا أقوى من
داود، لسنا أحكم من سليمان. لسنا أقوى من ديماس الذى أحب
العالم الحاضر (٢تى ٤ : ١٠). لسنا أقوى من الرسل والأنبياء
الذين سقطوا. مين يعرف؟
امنحنا أن نكمل هذا اليوم المقدس بكل سلام مع مخافتك.
لتكن مخافة الله فى أعيننا باستمرار. أى ليكن الخوف نوعاً من
أنواع الهيبة والتوقير لإلهنا الصالح ...
إن الذى لا يخاف، يستكبر لذلك يقول الرسول «لا
تستكبر بل خف» (رو ١١ : ٢١). امنحنا يارب أن نكمل كل
أيام حياتنا فى مخافتك.

الإنسان الخائف الله لا يمكن أن يعمل خطية. قيل عن
قاضى الظلم أنه شخص لا يخاف الله. الإنسان الذى لا يخاف

الله ، يستهتر ويسلك حسب هواه ولا يهتم ... لماذا لا نستطيع أن نرتكب الخطية أمام الناس ، ونخاف كلام الناس ، ونخاف أفكار الناس ، ونخاف فضيحة الناس ، أما الله فلا نخاف منه .
إن كل خطية نرتكبها ندل بها على أننا لا نخاف الله .

الشخص الذى يخاف الله هو الشخص الذى لا يرتكب خطية مهما كانت فى السر، مهما كان بعيداً عن أعين الناس . لأن الله موجود أمام عينيه ، فكيف يخطئ ويفعل هذا الشر العظيم أمام الله؟!

لو تتبعتم كلمة الحائفين من الله ، تجدونها كثيرة فى الكتاب المقدس وبخاصة المزامير. مفروض أننا نخاف الشر، نخاف الخطية والسقوط، ونخاف ضعفنا لكن ليس الخوف خوف الجبناء، وإنما المخافة التى تدفعنا فى أن نتمسك بالله بالأكثر. ونحتاط أكثر، ونحترس أكثر. ونجاهد أكثر.

ليس خوفاً يدعو إلى اليأس والجنون، وإنما مخافة تدعو إلى مزيد من الحيطة والاحتراس والجهاد والصلاة .

امنحنا أن نكمل هذا اليوم ... مع مخافتك ...

هنا خرج المصلى من الشكر إلى الطلب .

بدأ بالشكر ثم تحول إلى الطلب . ولما دخل فى الطلب طلب

أولاً ملكوت الله وبره. امنحنا أنك نكمل هذا اليوم... مع مخافتك. يطلب ملكوت الله، يطلب أن يعيش عيشة طاهرة في مخافة الله.

وحينما تردد هذه الطلبة في صلاتك، تذكر ما هي الأشياء التي من جهتها لا توجد مخافة الله في قلبك؟ وما هي الأشياء التي في حياتك تدنس هذا اليوم المقدس؟ تذكرها واعرضها أمام الله في قولك «امنحنا أن نكمل هذا اليوم المقدس...». كذلك قل نجنى من كذا وكذا. وضع مخافتك أمامي في كل حين.

كل حسد وكل تجربة وكل فعل الشيطان ومؤامرة الناس الأشرار وقيام الأعداء الخفيين والظاهرين أنزعها عنا وعن سائر شعبك وعن موضعك المقدس هذا.

بعدما شكرنا الله على كل حال ومن أجل كل حال وفي كل حال. بدأنا في الطلبات لأنه لا بد أن نشكر أولاً ثم نطلب. وفي طلبنا، نطلب من ربنا أن ينزع منا أشياء وهي:

كل حسد

أول شيء نطلبه هو أن يبعد الله عنا الحسد. لماذا؟ لأن الخطية دخلت إلى العالم بحسد ابليس. ونقول هكذا في القداس «والموت الذي دخل إلى العالم بحسد ابليس هدمته».

فابليس حسد الإنسان لأنه خلق على صورة الله ومثاله . وحسد الإنسان لأنه أصبح له مركز كبير في الجنة ، وسلطه الله على جميع الكائنات ، جميع حيوانات الأرض ، وطيور السماء وسمك البحر . وحسد الإنسان لأنه أخذ مجداً حرم هو منه . فدخل إلى العالم لكي يغرى الإنسان ويسقطه .

إن الحسد هو أول خطية دخلت في قلب الشيطان من جهة الإنسان وبسببها جره إلى الموت . وعلى الأرض أيضاً بالنسبة لأولاد آدم ، كانت أول خطية وقعوا فيها هي الحسد . فقاين حسد هايل أخاه ، ونتيجة لهذا الحسد قتله ، واستمر الحسد في نسل آدم .

عيسو حسد يعقوب لأنه أخذ البكورية . وحقد عليه ، وطلب أن يقتله ، أخوة يوسف حسدوا يوسف أيضاً . واستمر الحسد أيضاً حتى وسط القديسين . نجد أن الرسل الإثني عشر غاروا من ابني زبدى لما طلبت أمهما من المسيح أن يجلس واحد عن يمينه والآخر عن يساره . وأيضاً التلاميذ الإثني عشر غاروا من يوحنا الحبيب ، لما قال السيد المسيح عبارة فهموا منها أنه قد يستمر عائشاً إلى أن يجيء .

فالحسد موجود في الإنسان موجود في الشياطين ونحن لما نطلب من الله أن يبعد عنا الحسد نطلب الإثنيين معاً : أن يبعد عنا

حسد الشياطين ، وأن يبعد عنا حسد الناس .

نحن إما أن نعيش في نجاح . أو في فشل . إن عشنا في فشل نتعب . وإن عشنا في نجاح ، نتعرض لحسد الناس والشياطين . لذلك نطلب من الله أن ينزع عنا كل حسد وكل تجربة . لم نقل تجربة من الأول ، لأن الحسد هو الذى يجلب التجارب . والحسد أيها الأخوة له أسباب :

من ضمن أسباب الحسد : عدم المحبة : فلو وجدت محبة ، ما وجد حسد . الشخص المحب يفرح بنجاح أخيه ، ويسر ويمتلىء فرحاً إذا ارتفع اخوه و ونال مركزاً سواء في الروحيات أو في العالميات . لكن الشخص المحب لنفسه ، المحب لمجد ذاته ، هذا يقع في الحسد . فالحسد سببه عدم المحبة ، وسببه أيضاً الكبرياء ، ومحبة الذات ومحبة الارتفاع ، وهذه كلها موجودة في العالم .
نقول كل حسد وكل تجربة .

نحن لا نخشى الحسد الذى يخاف منه الناس العاديون :
أى ضربة العين !

طبعاً هذا كلام لا نقبله ! إنما نقصد الحسد الذى يجلب لنا مشاكل أى أن الناس من غيرتهم ، يتسببون في مؤامرات

ودسائس ضدنا . هذا الذى نقصده .
وعبارة « كل حسد » تعنى الحسد الروحى والحسد
المادى :

فمن الجائز أن يحسدك إنسان ، لأنك تأكل اطعمة شهية أفضل
منه . وآخر قد يحسدك لأنك تصوم أكثر منه . فمن الجهتين تلاقى
حسداً ...

إن سرت فى الخطية ، وتمتعت بملاذ العالم ، تجد من يحسدك
على ملاذ العالم . وإن تركت ملاذ الدنيا وعشت فى زهد ، تجد من
يحسدك على الزهد .

فالحسد موجود على الرغم من اختلاف الاسباب .

فى احدى المرات اعجب شخص بإنسان ، وظل يمدحه كثيراً
ويعدد فضائله . فقال له شخص روحى :

كفاك مدحاً له ، خوفاً من حسد الشياطين له !

لأن الشياطين حينما يسمعون مديحك له ، يحسدونه على بره ،
ويحاولون أن يسقطوه ... فاتركه إذن بعيداً عن حسدهم ، لأنه مازال
أمامه طريق طويل فى الجهاد الروحى لا نعرف نهايته . والمهم
بالنسبة إلى القديسين هو « نهاية سيرتهم » (عب ١٣ : ٧) . فلا
داعى للمديح الزائد ، لئلا تجلب له تجارب من حسد الشياطين ...

إن الشياطين يحسدون القديسين ، لأنهم لا يحبون أن يصل أحد

إلى الله ، وإلى النعيم الأبدى الذى حرّموا منه . ونحن نحترس من شر الشياطين وحسدّهم ، أكثر مما نحترس من شر البشر وحسدّهم . لذلك نطلب من الله أن ينجينا من حسد هؤلاء وأولئك .

هناك نوع ثالث من الحسد ، نطلب من الله أن ينقذنا منه . وهو حسدنا نحن للآخرين .

ليس الأشرار فقط هم الذين يحسدون . إننا نحن أيضاً ، أحياناً نحسد ... من منا لم يقع أحياناً فى الغيرة والحسد؟! ولو فى بعض المناسبات ، لذلك نطلب من الله أن ينقذنا من مثل هذه المشاعر الخاطئة ...

قد يجلس معك شخص ، ويمدح إنساناً مديحاً كثيراً ، كما لو كان مثلاً يحتذى وربما إذا أكثر المدح ، تجد قلبك من الداخل يتحرك ، وتبدأ أفكار تحاربك : أترى هذا الشخص مغروراً فيه ، أم لا يعرفه كما ينبغى ، ولا يعرف نقائصه؟!

يقيناً لو كنت تحب ذلك الشخص من أعماقك ، لكنت نفرح بما تسمع عنه من مديح .. ربما بعض الحسد دخل إلى قلبك .

والكتاب يقول إن المحبه لا تحسد (١ كو ١٣ : ٤) .
نحن إذن نطلب من الله أن يبعد عنا ثلاثة أنواع من الحسد :

أ - حسد الشياطين لنا .

ب - حسد الناس الأشرار لنا .

ج - حسدنا للآخرين في كل صورة .

وما الذى نطلبه أيضاً أن يبعده الرب عنا ؟

وكل تجربة

في الصلاة الربانية نطلب أيضاً ونقول لله « لا تدخلنا في تجربة » . والمسيح نفسه هو الذى علمنا الصلاة الربية وقال لنا قولوا « لا تدخلنا في تجربة » وأيضاً قال « اسهروا وصلوا لئلا تدخلوا في تجربة » (مر ١٤ : ٣٨) . ونحن نطلب من الله أن يبعد عنا كل حسد وكل تجربة .

ما رأيكم إذن في قول الكتاب « احسبوه كل فرح يا اخوتى حينما تقعون في تجارب متنوعة » (يع ١ : ٢) . كيف تكون التجارب مفرحة لنا ، بينما نطلب من الله أن يبعد عنا كل حسد وكل تجربة ؟!

نقول لا تدخلنا التجارب : أولاً بدافع الإلتضاع والانسحاق . بمعنى أننا لسنا في مستوى الانتصار على التجارب .

التجارب لها إحدى نتيجتين : إما أن ينتصر الإنسان فيها ويتمجد ، وإما أن يسقط بسببها ويفشل . ونحن لا نضمن

النتيجة . ربما نكون من النوع الثانى !

لذلك نقول له : نحن أمامك يارب . لسنا ندعى أننا أقوىاء .
ولسنا أقوى من الذين سقطوا ، بل كم سقطنا من قبل . لذلك أن
نطلب منك أن تبعد عنا التجارب ...
أخشى أن يغتر أحد بنفسه ، ويدعى لنفسه القوة والقدرة في
الصمود أمام كل تجربة . ويقول للرب في صلواته « هات يارب
من التجارب ما تشاء . معك رجل . إبنك قادر ويستطيع » !!
كلا يارب ، ابعدها عنا ، فإننا ضعفاء .

أما إن شئت محبتك ورحمتك أن تصادفنا تجربة ، تراها
حكمتك لخيرنا ، فحينئذ سنحسبه كل فرح حينما نقع في
تجارب متنوعة ...

من النوع الذى معه المنفذ ومعه الحل ، ومن النوع الذى هو في
مستوى احتمالنا وليس فوق ما نطيق ، هذا الذى قال عنه
الرسول :

«ولكن الله أمين ، الذى لا يدعكم تجربون فوق ما
تستطيعون ، بل سيجعل مع التجربة أيضاً المنفذ لتستطيعوا أن
تحتملوا» (١ كو ١٠ : ١٣) .

أو تكون التجربة من النوع الذى يؤول إلى خيرنا روحياً ،
وتكون معه نعمة حافظة . هذه هى التجارب المتنوعة التى نفرح

بها ، والتي يمسك الرب فيها بيميننا حتى لا نتزعزع .

« كل حسد وكل تجربة » . والتجارب على أنواع :

تجارب روحية : كأن يجربنا الشيطان بشيء ليسقطنا في الخطية . حاول الشيطان أن يجرب المسيح ليسقطه ولم يتمكن . وخدع آدم وحواء فسقطا . هذه تجارب روحية .

وهناك تجارب أخرى مثل التجارب التي تعرض لها أيوب الصديق . تجارب في الأولاد والصحة والمال ، أشياء كثيرة من هذا النوع . أما نحن فنقول « كل حسد وكل تجربة » سواء تجربة روحية أو عالمية . نجنا من كليهما . فنحن أضعف من هذه ومن تلك .

وكل فعل الشيطان

لأن الشيطان كما يقول القديسون فتال حبال . إنه يقتل حبالاً ويعمل شباكاً ، لكي يوقع الناس في شباكه . إنه ينصب فخاخاً ونحن نطلب من الله أن ينجينا من كل فعل الشيطان ، لكي نغنى مع داود ونقول « الفخ انكسر ونحن نجونا . مبارك الرب الذي لم يسلمنا فريسة لأسنانهم » (مز : ١٢٤ : ٧) .

كما فعل الشيطان سواء كان فعلاً مباشراً من الشيطان ،

أو كان الشيطان مجرد وسيط فيه . كأن يتكلم على لسان أحد البشر، أو يسلط علينا أحداً من البشر. سواء اشتغل بنفسه أو أشرك الناس الأشرار معه . كل فعل الشيطان .

الكنيسة تصلى باستمرار أن ينجينا الرب من فعل الشيطان . حينما يعتمد إنسان فإن الكنيسة تدهنه بزيت الغاليلاون وتطلب أن يمنع الله عنه كل حيل وتجارب الشيطان، وكل فخاخ الشيطان، وكل مكر الشيطان . لأن الشيطان يستطيع أن يظهر في هيئة ملاك نور، ويستطيع أن يخدع كثيرين . إن لم يخدع بضربة شمال، يخدع بضربة يمين . إن لم يقدم لك الخطية حلوة وشهية، يقدم لك البر في أسلوب فوق طاقتك، ويحاربك به، ويوقعك به في المجد الباطل . يحارب على كل حال، لكي يسقط على كل حال قوماً .

نحن نطلب من الله أن ينجينا من كل فعل الشيطان . فإن الله أقوى من الشيطان، ولأن الشيطان لا يستطيع أن يتصرف من تلقاء ذاته، بل في كل تجربة يأخذ سماحاً من الله .

عندما أتى الشيطان بكل قوته وضرب أيوب الصديق، أتى أولاً بسماح من الله . فمادامت المسألة واقعة في يد ضابط الكل، ومادام الشيطان لا يستطيع أن يتصرف من ذاته، إن لم يأخذ سماحاً، فنحن نطلب من الله ضابط الكل هذا، أن لا يسمح له،

وإن سمح ينجينا من الشيطان .
نحن لا نخاف الشيطان كقوة قائمة بذاتها ، فالوثنيون
قديمًا كانوا يظنون أن هناك إلهين : إله للخير وإله للشر . أما
الكنيسة فلا تؤمن بأفكارهم ، فليس هناك إله للشر . لا يوجد
الشيطان كقوة قائمة بذاتها ، تعاكس الله ... الشيطان أيضاً من
خليقة الله . غير أن الله لم يخلقه شيطاناً ، بل ملاكاً . وهو الذى
حول نفسه إلى شيطان . فمادام هو خليقة من خلائق الله ، ومادام
هو تحت سلطان الله ، فنحن نطلب من الله - الذى هو خالقه
ومسيطر عليه - أن ينجينا من أفعاله .

الشياطين ضعفاء أمام قوة الروح العامل فيكم .

القديس العظيم الأنبا أنطونيوس كلم أولاده في مقالة
طويلة عن ضعف الشياطين وخوف الشياطين ، وأنه لا يصح
أن نخاف منهم . بل هم الذين يخافون منا . مقالة طويلة نشرها
القديس أنثاسيوس الرسول في كتابه عن حياة الأنبا أنطونيوس .
لذلك فإن القديسين كانت لهم سيطرة عجيبة على الشياطين .
كانت لهم قوة . كانت الشياطين تخاف منهم ... فلا تخافوا من
الشيطان .

فإذا بدأ الشيطان يحاربك : قل له «إننا أخذنا قوة من المسيح
ضد جميع الشياطين» . من هو هذا الشيطان الذى يحاربك ؟

إنه لا يحتمل مزموراً منك. ولا يحتمل صلاة من صلواتك.
وشيء أكثر من هذا، إنه لا يستطيع احتمال تواضعك.

إذا أردت أن ينجيك الرب من كل فعل الشيطان، اسلك في التواضع. فقد أتى الشيطان إلى القديس الأنبا مقاريوس الكبير وقال له «ويلاه منك يا مقارة، أى شيء أنت تعمله، ونحن لا نعمله؟! أنت تصوم، ونحن لا نأكل. أنت تسهر، ونحن لا ننام. وأنت تسكن في البرارى والقفار، ونحن كذلك. ولكن بشيء واحد تغلبنا، بتواضعك». قال ذلك لأن التواضع يحزى الشياطين. إذا رآك الشياطين متواضعاً، ينظرون فيك صورة المسيح الذى حطمتهم وهزمتهم، تتواضعك ويخافون منك.
فى انسحاق اطلب من الرب أن ينجيك من الشياطين...

ومؤامرة الناس الأشرار

نطلب من الله أن ينجينا من مؤامرة الناس الأشرار. ولكن نصيحتى لك أنك بالنسبة لعبارة «الناس الأشرار». لا تضع فى ذهنك شخصاً معيناً حين تقولها.
مؤامرة الناس الأشرار تعنى أى مؤامرة تأتىك من الأشرار، أو بالحرى من الشياطين، وكل أعوانهم.
وان جاء فى فكرك إسم معين قل «هذا الشخص أبر منى».

كل حسد وكل تجربة وكل فعل الشيطان... وماذا أيضاً؟

وقيام الأعداء الخفيين والظاهرين

تؤخذ هذه العبارة على عدة معان :

١ - إما أن الأعداء الخفيين هم الشياطين ، والظاهرين هم أعداؤنا من بنى البشر.

٢ - أو بمعنى آخر، أن «الأعداء الخفيين» هم الذين لا نعرفهم، والظاهرين هم الواضح عداؤهم. هناك إنسان تعرف تماماً أنه عدو. إنه عدو ظاهر. هناك عدو خفي يتسم في وجهك، ويبدو كما لو كان يدافع عنك، ويعطيك من طرف اللسان حلاوة، وكلامه «الين من الزيت»، ومع كل ذلك يكون عدواً خفياً...

٣ - ثالثاً : لاشك أن من ضمن الأعداء الخفيين الأصدقاء المتملقين: الصديق الذي يمدحك بدون وجه حق، ويقول لك «برافو عليك، أنت أعجبتني في الموقف الفلاني». ويكون ذلك الموقف سبباً لهلاكك في جهنم!! إنه عدو خفي. في ظاهره صديق، وهو عدو. لذلك قال الكتاب المقدس «أمانة هي جراح المحب، وغاشة هي قبلات العدو» (أم ٢٧ : ٦).

من الجائز أن الصريح معى فى عدائه ، يكون قلبه أبيض ،
ومن بساطته يجاهر بما يعتقد . بينما هناك شخص آخر ، من
مكره وخبثه ، يخفى عنى حقيقته ، وهو حية تدفن نفسها فى
التراب ، دون أن ترى منها شيئاً ، ودون أن تشعر بها ... هذا معنى
آخر للأعداء الخفيين والظاهرين .

٤ - هناك معنى رابع للأعداء الخفيين والظاهرين وهو: من
الجائز أن الأعداء الخفيين يقصد بهم الخطايا الخفية داخلك ،
التي لا تراها . نعم ، نعم هناك أعداء خفيون فى أعماقك من
الداخل ... فى أعماق غرائذك ، وفى أعماق قلبك وحواسك ، وفى
أعماق شهواتك .

هناك أعداء ظاهرون . وربما عدوك الظاهر هو يدك أو
عينك أو لسانك . هذه أعضاء ظاهرة . وعدوك الخفى هو
قلبك . من الداخل ... هذه أعضاء أو أعداء ، خفية وظاهرة .
حقاً ، إن الإنسان عدو نفسه .

٥ - من الجائز أن الناس يكونون الأعداء الظاهرين . ودواخل
نفسك تكون هى الأعداء الخفيين ... كل هؤلاء تطلب من الله أن
ينجيك منهم .

لاحظوا هنا أن الأجبية مفيدة فى أنها تعطينا تفاصيل
عجبية لا يمكن أن تطلبها لو كنت تصلى صلاة ارتجالية . هل

معقول أن يطلب أحد أن ينجيه الرب من كل هذه الأشياء معاً؟
لا أظن.. كل هذه نقول للرب عنها .

انزعها عنا وعن سائر شعبك

في هذه الطلبة تقدم لنا الأجبية توجيهاً أن يكون
الشخص منا غير أناني في صلاته .

كما يطلب من الرب أن ينزع الشر عنه ، يطلب كذلك أن
ينزعه عن جميع الناس . «عنا ، وعن سائر شعبك» .

وهنا أحب أن أسأل سؤالاً بسيطاً يا ليتك تحيب عنه بصراحة
عن نفسك . عندما تطلب هذه الطلبة في صلاتك «انزعها عنا
وعن سائر شعبك» .

هل تطلب أن ينزع الرب هذه الشرور عن جميع الناس ،
بما فيهم أعدوك؟! .

الذين أحياناً بتضايق منهم ، تكرههم . أم أنت تطلب وتقول
«انزعها عنا وعن سائر شعبك ، وفي قلبك لا تقصد فلاناً
وفلاناً...؟! أو على الأقل يكون موقفك منهم سلبياً...»

لو أنك يا أخي تطلب فعلاً من أجل جميع الناس ، تكون في
هذه الحالة مصلياً أيضاً من أجل أعدائك... وليس فقط من أجل

مجموعة معينة. بل أنت تصلى من أجل جميع الناس، بما فيهم الذين يعادونك ويضطهدونك، ويقولون عنك كل كلمة شريرة كاذبين. هؤلاء أيضاً تقول «يارب انزع عنهم كل حسد وكل تجربة وكل فعل الشيطان ومؤامرة الناس الأشرار، وقيام الأعداء الخفيين والظاهرين، الذين منهم أنا، أنا الذى ربما لا يفرحنى الخير لهم!

صل من أجل جميع الناس، من أجل الشعب كله لأنهم كلهم أخوتك، وكلهم محتاجون إلى رحمة الله. وقل يارب: هذه الشرور كلها: انزعها عنا، وعن سائر شعبك.

وعن موضعك المقدس هذا

نطلب من الله أن يمنع الشر عن الناس وعن المكان. أى لا تسمح يارب أن هذا المكان يكون عرضة لعمل الشياطين ولمؤامرة الناس الأشرار.

نحن نطلب ان يقدس الله المكان ويحرسه ويباركه، لأنه موضعه المقدس، ومن الجائز أن نقول صلاة الشكر فى أى موضع. فحينما نقول «موضعك المقدس هذا» إنما نعنى أن هذا المكان الذى تصلى فيه هو مكان مقدس، أو صار كذلك.

ربما تقول «إننى أصلى الآن فى هذه القاعة، والقاعة

ليست كنيسة، وغير مدهشنة»... أقول لك إنها تقدست
بصلواتك، بتسابيحك، بتراتيلك، تقدست بوجودك أنت فيها،
بقلبك الطاهر، بحواسك النقية.

وحينما تقول عبارة «موضعك المقدس هذا» وأنت في غرفتك
الخاصة. أشعر أن غرفتك الخاصة هي موضع مقدس لله. وإن قلت
هذه الصلاة في الشارع، أشعر أن الشارع يتقدس بالصلاة التي
تصليها فيه...

ألسنا نسير أحياناً في البرية ونقول «ما أقدس هذه الأرض
التي داسها أرسانيوس بقدميه، ومشى عليها موسى الأسود وأنبا
بيمن ومكسيموس ودوماديوس... إنها أرض مقدسة، برية
مقدسة...

وكيف تقدست؟ تقدست لأن القديسين داسوا عليها
فقدسوها. لأن هناك أراض أخرى لم تكن مستحقة أن يدوسوها
بأقدامهم. فهذه الأرض التي استحقت أن يدوسوها بأقدامهم،
هي أرض مقدسة. فأنت يا أخي إذن تقدس المكان. المكان
يتقدس بك.

وحينما تقول للرب موضعك المقدس هذا، ماذا تقصد بهذا؟

تقصد أن تقول له أن هذا المكان هو موضعك أنت، هو
مكانك. وأنت تقدسه، لأنى عندما أصلى تكون أنت معي كما

قلت «ها أنا معكم كل الأيام» (متى ٢٨ : ٢٠). وكما قلت «حيثما اجتمع إثنان أو ثلاثة باسمي، فهناك أكون في وسطهم» (متى ١٨ : ٢٠). وبحلولك يارب في مكان صلاتنا، تقدر المكان. إذن فانزع عن هذا الموضع المقدس الذي لك، كل حسد وكل تجربة وكل فعل الشيطان...

أما الصالحات والنافعات فارزقنا إياها

نحن لا نطلب فقط من الناحية السلبية أن ينجينا الله من الحسد والتجربة وفعل الشيطان... وإنما من الناحية الإيجابية نطلب من الله أن يعطينا الصالحات والنافعات. وكأننا نقول له «الأشياء الصالحة هي من عندك. وأما كل شر فهو من فعل الشيطان ومؤامرة الناس الأشرار»... فارزقنا هذه الصالحات والنافعات.

الصالحات كما تراها أنت يارب، وليس ما يراه فهمنا البشري القاصر.

لأنك أنت الذي أعطيتنا السلطان

أن ندوس الحيات والعقارب..

المقصود بالحية هو الشيطان. لأن الشيطان في سقطة آدم الأول

تكلم من فم الحية . وسفر الرؤيا يقول عن الشيطان إنه هو « الحية القديمة » (رؤ ٢٠ : ٢) .

وعندما نقول « أعطيتنا أن ندوس الحيات والعقارب وكل قوة العدو » ، نقصد أن ندوس الشيطان وكل جنوده وكل قوتهم . والسيد المسيح عندما أرسل تلاميذه في ارساليته الأولى لهم ، « أعطاهم سلطاناً على الأرواح النجسة » (متى ١٠ : ١) . من الأمور المعزية جداً في صلواتنا أن نتذكر أن الله أعطانا سلطاناً على الشيطان وكل جنوده . أهل العالم يخافون أن يكون للشياطين سلطان عليهم . أما نحن فعلى العكس ، أعطانا الرب سلطاناً عليهم ، على كل قوة العدو . أعطانا سلطاناً أن ندوسهم .

قال الرب « أبصرت الشيطان ساقطاً مثل البرق من السماء » (لو ١٠ : ١٨) . وسفر الرؤيا يقول إن ربنا قيد الشيطان (رؤ ٢٠ : ٢) . فالشيطان إذن ليس له علينا سلطان . لقد أعطانا الرب أن ندوس الحيات والعقارب وكل قوة العدو .

الأنبا أنطونيوس ، كانت الشياطين تهرب منه وتخافه . كذلك فإن الشيطان الذي قابل القديس مكاريوس الكبير ، قال له « ويلاه منك يا مقارة » . والشيطان الذي قابل الأنبا ايسيدورس قال له « ٣٠٠٠ راهباً في البرية لا أقدر أن أضرمهم بشيء وأخ

واحد كان لنا ، جعلته يعتدى علينا النهار والليل !! أما يكفيك
أننا لا نقدر أن نعبر على قلايتك ، ولا على القلاية التي إلى
جوارك؟! « ذلك أن الشخص المجاور له ، كان يعيش تحت ظل
صلواته .

الله أعطانا سلطاناً على الشياطين لكي نخاف منا وترتعش .

كيف يمكن أن يكون لك سلطان على الشياطين
فتخافك؟

في أول الأمر يبدأ الشيطان أن يحارب الإنسان ، يجربه ،
يتعامل معه ، يجس نبضه ، يزنه ، يختبر معدنه ... يحاربه بالحواس ،
بالنظر بالسمع باللمس ، فينتصر الإنسان في حرب الحواس ...
يحاربه بالأفكار ، فينتصر عليه . حينئذ يخاف الشيطان ، ويشعر
بالعجز أمامه .

تماماً مثلما حدث مع القديس الأنبا أنطونيوس : حاربه
الشياطين بالأفكار ، وبالشكوك ، فانتصر عليهم . حاربوه بمغريات
العالم ، القوا الذهب في طريقه ، فانتصر أيضاً . حاربوه
بالشهوات ، ثم بالمفزعات ، ولم يقدرُوا عليه .. فبدأوا يخافون
منه . قالوا : « لا ليس هذا الإنسان من النوع العادي الذي
نقدر عليه . إنه من عجينة أخرى » وإذا كان يهزمهم في كل
مرة ، بدأوا يخافون منه ، ويهربون من طريقه ...

حينما يرونه يقولون «أريد هذا الإنسان أن يحطمنا كما فعل
أمساً، وقبلاً من أمس؟!» وهكذا يهربون من طريقه... مثل بطل
من الأبطال، كل من يتعرض له ينكسر. حينئذ يخاف الناس من
التعرض له. وإن رآه أحد، يتحاشى الاحتكاك به، ويقول له في
سره «رضيت من الغنيمة بالأياب». هكذا كان الشياطين
يخافون من القديسين:

إن صلى الواحد منهم، ترتعش الشياطين وتهرب. لا يهم
إن كانت الصلاة طويلة أم قصيرة: المهم إنهم حينما يعرفون
أن هذا الإنسان قد دخل في الموضوع، يتعدون وينصرفون،
متأكدين أن فخاخهم قد انكسرت في هذا الأمر الذي يصلى
من أجله...

مادام الله أعطانا سلطاناً على الشياطين، إذن لا يصح أن
نخاف منهم. وهذه الهبة تستدعى منا الشكر لله، وأيضاً تقوى
إيماننا، وتعطينا ثقة في المستقبل، إن الشيطان سوف لا يقوى
علينا.

إن الشيطان لا يستطيع أن يقوى على الإنسان المؤمن، إلا
إذا سلم هذا الإنسان نفسه للشيطان، وتنازل عن قوته. مثال
ذلك قصة شمشون ودليلة.

شمشون كانت عنده قوة جبارة يهزم بها الكل. لكنه سلم
نفسه، وتراخى وباح بالسر، وأعطى رأسه لمن يقص شعره!! هو

الذى ضيع نفسه . الله أعطاه قوة ، ولكنه لم يستخدمها ، بل بعثرها
وأنفقها فى عيش مسرف .

فلا يعتذر أحد عن نفسه ، ويقول «إن الشيطان قوى» .
لا يا حبيبي ، أنت أقوى منه .

والله أعطاك السلطان أن تدوس الحيات والعقارب وكل قوة
العدو . إنما أنت الذى تستسلم وتستضعف . أنت الذى تعطى
روحك للشيطان . وإلا كيف تصلى إذن صلاة الشكر وتقول
«لأنك أعطيتنا السلطان...» !

سلطان ! تصور ... أعطاك سلطاناً . أنت إذن شخص ذو
سلطان على جميع الشياطين . ما أروعك ! لماذا . لأن الله أخضعهم
كلهم تحت تدميك ...

هل بعد هذا تقترب من الشياطين وتقول لهم «هلم
نتفاهم : تعطونى خطية ، وأنا أعطيك ارادتى .

تعطونى شهوة وأنا أعطيكم العزيمة والفكر ، واستسلم لكم» .
وهكذا تفتح أبوابك للشياطين ! إذن العيب هو عيبك أنت ...

إن كنت بلا قوة أيها الأخ ، يكون لك عذر ، أما وقد أعطيت
سلطاناً من الله ، فلماذا تخطيء؟! مادامت لك قوة على المقاومة ،
ولم تستخدمها ، لذلك ينبغى أن تحجل بالأكثر . إننا نشعر
بالخزى ، لأن الله أعطانا سلاحاً ، فلم نستخدمه ، وسلمناه

لأعدائنا يقتلوننا به. بل إننا نشعر بخزي أكثر، لأننا في خضوعنا للشياطين، إنما نخضع للحيات والعقارب!
وفي اعترافنا بأنهم حيات وعقارب، إنما نعترف ببشاعة الخطية. ليست هي شهية كما يراها الأشرار.
نقول بعد ذلك في صلاتنا ...

ولا تدخلنا في تجربة لكن نجنا من الشرير

مادمت يارب قد أعطيتنا السلطان، فلا تسمح بأن نقع في أيدي الشياطين. لئلا نفتكر أننا ذوو سلطان فننتفخ، ثم نسقط.
إننا على الرغم من كل هذا السلطان نلتمس معونتك ورحمتك.
إننا لا ننجو من الشرير بقوتنا ولا ببرنا، ولكن بالنعمة التي أعطيت لنا في المسيح يسوع. بالنعمة والرأفات ومحبة البشر التي له. ننجو من الشرير لأن الله يتراءف علينا، ولا يتخلى عنا، وإلا شابهنا الساقطين في الجب.
إن وجدنا في أنفسنا شيئاً من الخير، فلا يصح أن نعتبر هذا منا، وإنما من محبة الله للبشر.

هذا الذي من قبله المجد والكرامة

المسيح مملوء مجداً وكرامة، لأن المجد الحقيقي فيه. نحن ليس لنا مجد، لأننا خطاة وتراب ورماد... أما المسيح فله

المجد... إنه بهاء مجد الآب ورسم جوهره (عب ١ : ٣).
عندما أراد الآب أن نراه. رأيناه في إبنه. وهكذا قال السيد
المسيح «من رآنى فقد رأى الآب» (يو٤ : ١٠). له المجد أيضاً
في أعماله الصالحة، وله المجد في معجزاته. له المجد منا جميعاً،
لأننا نعيش في احساناته ومحبته...

له المجد والكرامة. ودائماً نذكر هذه الناحية: لأن
المسيح الذى عاش فى الأرض محتقراً ومردولاً من الناس
(اش ٥٣ : ٣) الذى أهين من الناس وبصق عليه وصلب،
نحن نقول إن له المجد والكرامة والعز والسجود...

إن السجود لا يليق إلا بالله. فلماذا نقول «له السجود»؟
إننا بهذا نعترف بلاهوته، لأن من حقه السجود. وقد قال عنه
الكتاب إن له تجثو كل ركبة ممن فى السماء ومن على الأرض
ومن تحت الأرض (فى ٢ : ١٠). وأيضاً «لتسجد له كل ملائكة
الله» (عب ١ : ٦)...

تليق بك معه ومع الروح القدس...

هنا نوجه تمجيدنا للثالوث الأقدس. له الشكر الدائم إلى الأبد
عن هذا الجزء الأخير من الصلاة، اقرأ الكتاب الأول من
تأملاتنا فى أسبوع الآلام، عن تسبحة البصخة، وعنوانه :

لك القوة والمجد...



تأملات فی المزمور الخمسين

السرور الحسيني

ارحمنى يا الله كعظيم رحمتك ومثل كثرة رافتك تمحو
اثمى وتغسلنى كثيرا من اثمى ومن خطيئى تطهرنى . لانى
عارف باثمى ، وخطيئى امامى فى كل حين ، لك وحدك اخطات
والشر قدامك صنعت . لكى تتبرر فى اقوالك وتغلب اذا حوكت
لانى ها انذا بالاثم خبل بى ، وبالخطايا ولدتنى امى .
لأنك هكذا قد احببت الحق . اذ اوضحت لى غوامض
حكمتك ومستوراتها . تنضح على بزوفاك فاطهر . وتغسلنى
فابيض اكثر من الثلج . تسمعنى سرورا وفرحا فتبتهج عظامى
المنسحقة . اصرف وجهك عن خطاياى وامح كل آثامى .
قلبا نقياء اخلق فى يا الله وروحا مستقيما جدده فى احشائى
لا تطرحنى من قدام وجهك وروحك القدوس لا تنزعه منى .
امنحنى بهجة خلاصك . وبروح رئاستى ثبتتنى فاعلم الائمة
طرقك والمنافقون اليك يرجعون .
نجنى من الدماء يا الله اله خلاصى فيبتهج لسانى بعدلك .
يارب افتح شفتى فيخبر فمى بتسبيحك لأنك لو آثرت الذبيحة
لكنت الآن اعطى . ولكنك لا تسر بالمحرقات فالذبيحة لله روح
منسحق . القلب المنكسر والمتواضع لا يرذله الله .
انعم يارب بمسرتك على صيهون ولتبن اسوار اورشليم .
حينئذ تسر بذبائح البر قربانا ومحرقات ويقربون على مذابحك
المجول ملويا

هذا المزمور بين المزامير

تشمل المزامير موضوعات متعددة جداً ...

ففيها التسبيح والتمجيد ، والتأمل في صفات الله وفي أعماله ،
وفي خليقته وفي ملكه ، وفي وصاياه وفي مساكنه . وفي المزامير أيضاً
طلبات متنوعة ، وصراخ إلى الله . وفيها الشكوى والعقاب أيضاً ،
وفيها عبارات الحب والاشتياق إلى الله ، والشكر والاعتراف
بجميل الرب وبرعايته وأفضاله ، وفيها الفرح والتهليل ،
وذكريات الحياة مع الله . وفي المزامير أيضاً نبوءات ، وكلمات
البركة ، ونصائح وارشادات ، وتطويبات . وفيها أيضاً كلمات
التوبة ، وانسحاق القلب ، والدموع ، والاعتراف بالخطية .

والمزمور الخمسون هو من مزامير التوبة ، بل هو أشهرها .

ولعل أول مزمور من مزامير التوبة هو المزمور السادس ، الذي
يبدأ بعبارة « يارب لا تبكتني بغضبك ، ولا تؤدبني بسخطك » .
والمزمور الثامن والثلاثون يبدأ بنفس العبارة أيضاً .

ويمكن أن نعتبر من مزامير التوبة أيضاً السابقة في الترتيب المزمور الخمسين والمزمور ٣٢ ، والمزمور ٢٥ ، ١٢ ... ولكن المزمور الخمسين هو أشهرها جميعاً . ورقمه في الترجمة البيروتية ٥١ .

والكنيسة تضعه في مقدمة كل صلاة في الأجيبة :

سواء ذلك في صلوات النهار أو الليل . نكرره أكثر من سبع مرات كل يوم ، ويدخل في صلواتنا الطقسية ، وهو ملازم فيها للصلاة الربية وصلاة الشكر . ولا يوجد إنسان متدين إلا ويحفظه ، حتى تلاميذ التربية الكنسية يحفظونه ... ومن شهرته وضعت فيه الكثير من الكتب لعديد من مشاهير الوعاظ والمفسرين ، في كل الكنائس ...

أول من صلاه هو داود النبي بعد سقطته :

بعد أن أخطأ مع بثشبع ، وتسبب في قتل أوريا الحثي . وبعد أن أرسل له الله ناثان النبي ينبهه إلى بشاعة فعله ، ويقول له « أنت هو الرجل » (١ صم ١٢ : ٧) . فاعترف داود وقال : « أخطأت إلى الرب » (٢ صم ١٢ : ١٣) . وقد سرد عليه ناثان انذارات الرب وعقوباته ، لأنه « جعل أعداء الرب يشمتون » . وبدأ داود يشعر بثقل ذنبه ، وصلى هذا المزمور ، وبدأه بقوله :

ارحمنى يا الله كعظيم رحمتك

عبارة « أرحمنى يا الله » عبارة يقولها كل إنسان :

نعم ، كل إنسان أياً كان قدره ، لأن كل إنسان محتاج إلى الرحمة . نحن نبدأ بها الصلوات إذ نقول « أبشويس ناى نان » ومعناها بالقبطية « يارب ارحمنا » . ونقولها حينما نردد كلمة كيريا ليصون ٤١ مرة في كل صلاة ، وتعنى في اليونانية أيضاً « يارب ارحمنا » . ونقولها في لحن « أفنوتى ناى نان » أى يا الله ارحمنا . ونقول في الثلاث تقديسات « أيها الثالث المقدس ارحمنا » ثلاث مرات . وننتهى بقولنا : يارب أرحم ، يارب ارحم ، يارب بارك آمين » ... نبدأ بها الصلوات ، ونهى بها الصلوات ، ونكررها مرات ومرات ...

وهنا يقول المرتل : ارحمنى يا الله ... لأن هذا هو المدخل الوحيد الذى أدخل به إليك ...

أنا خاطيء تحت الحكم ، ومعترف بخطيئتي ، ومستوجب لكل دينونة . وليس أمامي سوى باب واحد أدخل منه إليك ، وهو رحمتك ... رحمتك أنت ، المعروف بالرحمة ، وأيضاً بالمغفرة .

ولقد ردد هذا المعنى في المزمور ١٠٣ فقال « الرب رجيم ورؤوف طويل الروح وكثير الرحمة .. لم يصنع معنا حسب خطايانا ولم يجازنا حسب آثامنا . لأنه مثل ارتفاع السموات فوق الأرض ، قويت رحمته على خائفيه ... كبعد المشرق عن المغرب ، أبعد عنا معاصينا » (مز ١٠٣ : ٨ - ١٢) .

وفي هذا المزمور يذكر الرحمة أولاً قبل ذكر خطاياها :

يذكرها الله ، فتغطي على الخطايا وتخفيها ، لأن هذه الرحمة هي سبب المغفرة . وماذا تكون خطايا أى إنسان ، إذا وضعت أمام مراحم الله ؟! إنها لا شيء : كقطعة من الطين ألقيت في المحيط ، يفرشها في أعماقه ولا تظهر . وهكذا نحن نصلى ونقول « كرحمتك يارب وليس كخطايانا » . وفي هذا قال داود أيضاً « أذكر مراحمك يارب وأحساناتك ، لأنها منذ الأزل هي . لا تذكر خطايا صباى ومعاصي » (مز ٢٥ : ٦ ، ٧) . وفي صلاة العشار ، ذكر الرحمة أولاً قبل الخطية ، فقال « ارحمنى أنا الخاطيء » (لوقا ١٨ : ١٣) .

ولأن الخطية بشعة ، فإن المرتل يذكر الله بعظيم رحمته :

برحمته غير المحدودة ، التي تتسع لجميع الخطايا ، لجميع الناس ، في جميع العصور ... منذ آدم خلال جميع الأجيال ... وكأنه يقول : فيّ أنا الخاطيء تظهر جميع مراحك ، أجعلنى موضوعاً لرحمتك . أضف إسمى إلى القائمة غير المحصاة لخطاة غفرت لهم ... لأولئك الذين قدمت عنهم المحرقات وذبائح الخطية وذبائح الإثم .

وبالنسبة إلينا - حينما نصلى هذا الزمور- نضيف إلى مراحم الله العظيمة كل ما شملته بعد عصر داود النبي : المرأة المضبوطة في ذات الفعل ، والمرأة التي بللت قدميه بدموعها ، والمرأة السامرية ، وأوغسطينوس ، وموسى الأسود ، وكبريانوس الساحر ، ولونجينوس الجندى ، وأريانوس الوالى ، وبيلاجيه ومريم القبطية ، وكثيرين آخرين كمجرد أمثلة لمن تراءف عليهم الرب ، وشملهم بعظيم رحمته .

هنا نسمع ألفاظ الرحمة والرأفة وليس مشاعر الدالة .

فالإنسان في حالة الخطية ، لا تملكه مشاعر الدالة ، وإنما الإحساس بالذلة ، هنا لا يقول داود « محبوب هو إسمك يارب ،

فهو طول النهار تلاوتى» (مز ١١٩)، «باسمك أرفع يدي،
فتشبع نفسى كما من شحم ودسم» (مز ٦٢)، «كلماتك حلوة
فى حلقى، أفضل من العسل والشهد فى فمى» (مز ١١٩) ... نعم
لا يستطيع أن يقول «كما يشتاق الإيل إلى جداول المياه، هكذا
تشتاق نفسى إليك يا الله ... عطشت نفسى إلى الله» (مز ٤٢)،
«عطشت نفسى إليك» (مز ٦٢) ... هذه الدالة أختفت، بكسره
لوصايا الله ... إنما الحديث هنا عن الرحمة والرأفة ... فيتابع كلامه
ويقول:

ومثل كثرة رأفك تمحو إثمى

إلى جوار الرحمة العظيمة التى يستند إليها، يستند أيضاً إلى
رأفات الله الكثيرة... وهاتان الصفتان جمعهما معاً فى قوله
«الرب رحيم ورؤوف» (مز ١٠٣ : ٥). ونفس الصفتين جمعهما
أيضاً يونان النبى فى قوله للرب «علمت أنك إله رؤوف ورحيم،
بطيء الغضب، وكثير الرحمة» (يون ٤ : ٢). والرأفة عند الله
تشمل الحنان والعطف وطيبة القلب ... فكم إذن كثرة رأفاته؟ ...
إنه من أجل كثرة رأفات الله يطلب منه ليس فقط أن
يغفر إثمه، إنما أن يمحوه تماماً.

يمحوه ، أى لا يبقى له أى أثر على الإطلاق ، كأن لم يحدث . وهذا الأمر يتفق تماماً مع مراحم الله ورأفاته . —إنه هو القائل -فيما بعد- فى سفر اشعيا «أنا هو الماحى ذنوبك . وخطاياك لا أذكرها» (اش ٤٣ : ٢٥) وأيضاً «قد محوت كغيم ذنوبك ، وكسحابة خطاياك» (اش ٤٤ : ٢٢) . ويقول فى سفر ارميا النبى «لأنى أصفح عن إثمهم ، ولا أذكر خطيتهم بعد» (أر ٣١ : ٣٤) ... إن الله يكرر عبارة «أمحو» وعبارة «لا أذكر» .

نعم يارب . لأنك إن كنت لا تمحو إثمى ، سيمحى
إسمى من سفر الحياة !

ليتك تمحوها يارب ، حسب وعدك الصادق . حينما قلت :
هلم نتحاجج «إن كانت خطاياكم كالقرمز . تبيض كالثلج»
(اش ١ : ١٨) . وهكذا لا تذكرها لى . ولا تؤثر على محبتك لى فى
المستقبل . ولا تجعلها سبباً لزوال الدالة بينى وبينك . ولا يضيع
كل تاريخى الحلومعك بسببها .

هنا داود يطلب محو الخطية وليس محو العقوبة .

كانت لخطيته عقوبتان : العقوبة الأبدية ، وهذه غفرها له

الله، حينما قال له ناثان «الرب قد نقل عنك خطيتك. لا تموت» (٢صم ١٢ : ١٣). أى قد نقل هذه الخطية من حسابك إلى حساب المسيح الفادى، فلن يلحقك بسببها الموت الأبدى. ولكن كانت هناك عقوبة أرضية أخرى مثل «لا يفارق السيف بيتك... والإبن المولود لك يموت» ومثل أنتهاك نسائه (٢صم ١٢)... كل هذه العقوبات، لم يتعرض لها داود فى هذا الزمور، ولم يطلب مسامحته... كان همه كله، فى رفع الخطية ذاتها. وفى نتائجها عليه...

وكانت هناك عقوبة ثالثة هى الأصب. وهى غضب الله عليه. وكانت تتبعه بالأكثر.

وهى التى قال عنها فى هذا الزمور فيما بعد «لا تطرحنى من قدام وجهك. وروحك القدوس لا تنزعه منى».... إن داود يريد فى طلبته بالدرجة الأولى رضا الرب عليه... بمحو هذه الخطية التى تقف حائلاً بينه وبين الله... يريد أن يصطلح مع الله، بنقض هذا الحائط المتوسط بينه وبينه... ويحيا فى حياة الشركة الإلهية كما كان، وتعود له الصورة الإلهية، وقوة المسحة المقدسة فى حياته. لذلك يقول:

أغسلني كثيراً من إثمى ومن خطيئتي طهرني

هنا يقول داود «إثمى ... وخطيئتي» ويكرر نفس الكلمتين في الآية التالية . ثم يضيف إلى إثمه وخطيئته عبارة «والشر قدامك صنعت» ... إنها صفات ثلاثية يصف بها سقطته . ويذكر أيضاً أن هذه السقطة قذارة في حياته تحتاج إلى غسيل ، ونجاسة تحتاج إلى تطهير... فيقول «أغسلني كثيراً حتى أصل إلى النقاوة المطلوبة . وعبارة « كثيراً» تدل على شعوره ببشاعة خطيئته... وطبعاً في هذا الغسل الكثير. يحتاج إلى عصر كثير، حتى يتنظف ، وعبارة « طهرني» تدل أيضاً على شعوره ببشاعة الخطية .

حسن أن يشعر الإنسان أن خطيئته نجاسة تحتاج إلى تطهير.

ليس فقط خطايا الجسد كالزنى ، وإنما حتى أيضاً خطايا اللسان ، التي قال عنها الرب «بل ما يخرج من الفم ، هذا ينجس الإنسان» (متى ١٥ : ١١) . وقال معلمنا يعقوب الرسول «... اللسان الذى يدينس الجسم كله» (يع ٣ : ٦) . بل إن العمل في يوم الرب ، اعتبره الرب نجاسة فقال «نجسوا سبوتى»

(حز ٢٠ : ١٣) ... فكم بالأولى يكون الزنى؟! كل هذا يحتاج إلى تطهير، لأن حسد الإنسان هو هيكल الله (١ كو ٦ : ١٩) وينبغي أن يكون مقدساً ...

الإنسان البار يشعر ببشاعة الخطية وأنها نجاسة . أما الشيطان فيقلل من قدر الخطية .

وبسبب شعور داود ببشاعة خطيئته ، قال في المزمور السادس «تعبت في تنهدى ، أعوم كل ليلة سريري ، وبدموعى أبل فراشى» . وقال أيضاً «آثامى قد طمت فوق رأسى ، كحمل ثقيل أثقل مما أحتمل . قد أنتنت ، فاحت ... اليوم كله قد ذهبت حزيناً ... انسحقت إلى الغاية ... يارب أمامك كل تأوهى وتنهدى ... ليس بمستور عنك ... قلبى خافق ، قوتى فارقتنى ، ونور عينى أيضاً ليس معى» (مز ٣٨ : ٤ - ١٠) . لماذا كل هذا ؟

لأنى أنا عارف بآثامى وخطيئتى أمامى فى كل حين

إنه لا ينكر خطيئته ، ولا يخفيها ، ولا يبررها ، ولا يتهرب منها . بل هو يعترف بها علانية أمام الله ، وقد أعترف بها أمام ناظران النبى ... ويعترف بها أمام الجميع وأمام التاريخ فى هذا

المزمور... ويقول كل ذلك باقتناع داخلي ، وبندم وحزن ودموع ...
إنه عارف بإثمه . انكشفت نفسه أمامه وأمام الله . فإذا هي تحتاج
إلى غسيل وإلى تطهير... وهو يضع خطيئته أمامه كل حين . وكما
قال القديس أنطونيوس :

إن ذكرنا خطايانا ، ينساها لنا الله . وإن نسينا خطايانا
بذكرها لنا الله .

فأنا أقول لك يارب ككثرة رأفاتك أمح إثمي . أما أنا فلا
أحموه أبداً من ذاكرتي ، إنه أمامي كل حين... أما يسحق نفسي ،
ويعلمني الإلتضاع ، ويجذبني إلى أسفل كلما ارتفعت . إنه أمامي
حينما يشتمني شمعي بن جيرا ، فأقبل منه شتيمته لأنني أستحقها
بسبب خطايائي ، وأقول في إنسحاق « الرب قال له سب داود »
(٢صم ١٦ : ١٠) . خطيئتي أمامي تجلب لي الدموع وتشعرنني
بضعفي ، وتجعلني أشفق على الساقطين ، حتى على ابشالوم .

حسن أن يضع الإنسان خطاياهم أمامه كل حين ، ما عدا
تفاصيل الخطايا الإنفعالية والشهوانية .

هذه التي إن ظل يفكر فيها ، قد تعود إليه . إنما يكفي أن
يشعر بخطيئته ، دون أن يذكر تفاصيلها . يضع خطاياهم أمامه حتى

لا يدين أحداً ، لأن الذى بيته من زجاج ، لا يقذف الناس بالحجارة ، وبالتالي لا يقسو على أحد ، ولا يشهر بأحد ... ويتذكر خطاياها ، يحترس فى المستقبل ولا يتهاون .

داود يقول إثمى ، وخطيئتى ... ولا يذكر عثرة للمرأة .

إنه يركز على خطيئته ، ولا يلقى بمسئوليتها على أحد ... لا يفعل مثل أبينا آدم الذى قال للرب « المرأة التى جعلتها معى ، هى أعطتني فأكلت » (تك ٣ : ١٢) . فلم يقبل الرب ذلك منه ، لأن كل إنسان مسئول عن فعله أمام الله ... حسن أن داود عارف بإثمه ، وليس بإثم غيره ...

متى يمكننا أن نعرف أنفسنا ونعرف خطايانا ؟

ألا يحتاج هذا منا ، أن نجلس إلى أنفسنا ، ونفحصها جيداً بغير تحيز ولا مجاملة ، ونذكر ما هى فيه من ضعف ومن سقطات ، ونعرضها أمام الله ... ويقول له كل منا فى إنسحاق قلب : « أغسلنى كثيراً من إثمى ، ومن خطيئتى طهرنى ... لأنى أنا عارف بإثمى ، وخطيئتى أمامى فى كل حين » .



لك وحدك أخطأت والشر قدامك صنعت

بعد أن يضع المرتل خطيته أمامه كل حين ، يقول : لك
وحدك أخطأت ...

لاشك أن داود قد أخطأ إلى كثيرين ، من بينهم بشبع وأوريا
الحشى (٢صم ١١) . ومع ذلك فإنه يقول للرب « لك وحدك
أخطأت ، والشر قدامك صنعت » . فما هى المشاعر التى تحتفى
وراء عبارة « لك وحدك » ؟ لعلنا نذكر من بينها ثلاثة أعتبارات
هى :

١ - فى شعوره بأن الخطية ضد الله ، تتصاغر وتتضاءل كل
الاعتبارات الأخرى كأن لا وجود لها .

إنه أخطأ ضد وصية الله ، وهكذا تمرد عليه وكسر وصاياه .
وأخطأ ضد محبته وضد احساناته الكثيرة ... الله الذى أخذه من
وسط الغنم ، ورفع ورقاه ... الله الذى حفظه من كل مؤامرات
شاوول وباقى أعدائه ... الله الذى باركه ببركات عديدة ... الله
الذى خلقه ، والذى منحه هذه الحرية التى أستخدمها ضده .

إنه أخطأ إلى عين الله الطاهرة التي رأت خطيته .

من أجل هذا قال أيضاً والشر قدامك صنعت «... نوع من الإستهانة وعدم الخجل، أن يخطيء الإنسان تحت سمع الله وبصره... أمامه، بلا حياء... أمامه كأب، وقدوس! ولذلك عندما عرضت الخطية على يوسف الصديق، فزع أمام خطورة هذا الأمر وقال «كيف أصنع هذا الشر العظيم، وأخطيء إلى الله» (تك ٣٩ : ٩) ... ولم يقل «وأخطيء إلى فوطيفار أو إلى زوجته» وإنما قال «أخطيء إلى الله» ... الله الموجود في كل مكان، ويرى كل شيء...

يقيناً إن الإنسان وهو يخطيء، لا يجعل الله أمامه !

لا يفكر وقتها أن الله يرى ويلاحظ ويسمع - يشعر أنه واقف أمام الله، الله القدوس... وكل هذه خطايا أخرى، أن يكون ناسياً لله، وغير حاسب أى حساب لوجوده . وهذا الأمر نفسه لام داود عليه أعداء الله حينما قال «الغرباء قد قاموا عليّ، والعتاة طلبوا نفسى... ولم يجعلوا الله أمامهم» (مز ٥٤ : ٣) . ولذلك فإن الإنسان الذى يجعل الله في فكره باستمرار، من الصعب أن يخطيء، لأن الله أمامه، لا حصر له، «استحياء الفكر» .

داود كان وقت الخطية ، في فترة استرخاء ، بعيداً عن
المصلاة بالله !

لم يكن مشغولاً بالرب ، لم يكن في مشاعر الحب الإلهي التي
يقول فيها « محبوب هو إسمك يارب ، فهو طول النهار تلاوتى »
(مز ١١٩) ... يقيناً لو كان في ذلك الوقت يتلو في إسم الله
المحبوب لديه ، ما كان قد أخطأ ...

ولكن كما يقول الكتاب ، وكان في وقت المساء ، أن داود
قام عن سريره ، وتمشى على سطح بيت الملك ، فرأى ... «
(٢صم ١١ : ٢) . ترك الشعب يحارب في الميدان ، ونام هو في
بيته ، وخرج يتمشى على السطح ... رفاهية جديدة لم يعشها من
قبل ، حين كان ينزل إلى الحرب مع جنوده . وفي نفس الوقت لم
يقم عن سريره ليصلى ، مثلما كان يقول « كنت أذكرك على
فراشى ، وفي أوقات الأسحار كنت أرتل لك » ... وحينما أتته
التجربة ، لم يكن الله أمامه ، فأخطأ إليه ...

إن الشيطان يعرف الوقت الذي يضرب فيه ضربته .

ينتهاز الفرصة التي يكون فيها الإنسان بعيداً عن صلواته
ومزاميره وتأملاته ، بعيداً عن الوسط الروحي ، وليس الله أمامه ،
وحينئذ يضربه وهو غير محصن ... الله ليس في فكره ، ولا في قلبه ...

وهنا، حينما قال داود للرب « لك وحدك أخطأت »، إنما يقصد أمرين: أخطأت أولاً إليك، حينما أبتعدت عنك، وعن مناجاتك، ولم أجعلك في فكري وقلبي وحينئذ أخطأت في الثانية، فسقطت وكسرت وصاياك.

أخطأت إليك، لأنى احزنت قلبك المحب ...

احزنت روحك القدوس الذى من جهته أصرخ إليك قائلاً «روحك القدوس لا تنزعه منى» (مز ٥١ : ١١). وهكذا حطمت حياة الشركة التى تربطنى بك، وأنفصلت عنك بخطيئتي، وفقدت الدالة التى بينى وبينك. وفى ضوء العهد الجديد، يمكن أن يقول المصلى «نجست هيكلك المقدس، الذى هو جسدى» (١ كو ٣ : ١٦، ١٧). وهكذا أكون قد أخطأت إليك. وأيضاً فى خطيئتي..، أكون مقاوماً لروحك القدوس وعمله فى «أع ٧ : ٥١»، وأيضاً فى خطيئتي يقف أمامى قول الرسول «لا تخزنوا روح الله القدوس الذى به ختمتم» (أف ٤ : ٣٠) ... إن حزنك هو أعظم خطية أرتكبها. لك وحدك أخطأت ...

والشرق دامت صنعت ، فى كل تفاصيل الخطية :

تفكيرى فى الخطية ، وانفعالى الداخلى بها ، كان أمامك ، وإن

لم يره أحد... وتنفيذى للخطية كان قدامك أيضاً ، وكذلك كانت أمامك كل محاولاتى لاختفاء الخطية والهروب من نتائجها . وفى كل تلك المراحل كان ضميرى نائماً قدامك أيضاً ، وكانت الخطية تتعدد وتتطور من خطوة إلى أخرى . وأنت ترى ، ويكتب أمامك سفر تذكرة (ملا ٣ : ١٦) .

أخطأت أمامك كإله ، وأيضاً كقاضى وديان :

حقاً ما ابشع أن يرتكب الإنسان الذنب أمام قاضيه ، بلا خوف ، ولا حياء... أخطأت أمامك وأنا أعرف تماماً أننى سأقف أمامك أيها الديان العادل . ولا يحتاج إثبات ذنبى إلى شهود . فالقاضى نفسه هو الشاهد !

ولكن لعل هذا الأمر لم يكن فى ذهنى فى ذلك الوقت ! ولكن عدم وجوده فى ذهنى هو خطية أخرى ... أن أتجاهل الله ! نعم أخطأت إليك أيها الديان العادل . أخطأت إلى هيبتك الإلهية ، كما أخطأت إلى محبتك الأبوية ...

ولست أجد علاجاً لكل هذا ، سوى قولى أخطأت إليك وعبارة أخطأت إليك ليست علاجاً ، إنما هى صرخة... إلى رحمتك .

٢ - أخطأت إليك وحدك ، على الرغم من خطيئتي إلى

غيرك ؟

وذلك لأن هذا الغير ليس منفصلاً عنك ، بل كل من أخطأت إليهم هم خليقتك ، وهم أولادك ، منتمون إليك . والخطأ إليهم يعتبر في نفس الوقت خطأ إليك وحدك وأنت نسبت كل ما يفعل إليهم إليك ، فقلت : مهما فعلتموه بأحد أخوتي هؤلاء الأصاغر ، فبى قد فعلتم (متى ٢٥ : ٤٠) ، سواء كان خيراً أو شراً... بل إن مجرد عدم عمل الخير إلى الناس ، يعتبر خطية موجهة إليك ، كعدم اطعام الجائع ، وعدم زيارة المريض ، فتعاقب هؤلاء قائلاً « الحق أقول لكم : بما أنكم لم تفعلوه بأحد هؤلاء الأصاغر ، فبى لم تفعلوا » (متى ٢٥ : ٤٥) ... كم إذن خطية الاعتداء والإساءة والتدنيس !

كم إذن الخطية إلى أشخاص هم أعضاء في جسدك ؟!

ألست أنت هو الرأس ، وهم أعضاء في جسدك . وكما يقول الرسول عنك «لأننا أعضاء جسمه ، ومن لحمه ومن عظامه» (أف ٥ : ٣٠) . فالكنيسة هي جسد المسيح . من يخطئ إلى عضو فيها ، إنما يخطئ إلى المسيح نفسه ويقول له : لك وحدك

أخطأت . هو الكرمة ونحن الأغصان (يو ١٥ : ٥) . من يجرح
غصناً ، إنما يجرح الكرمة ذاتها ...

٣ - حتى خطيئتي ضد نفسي ، هي موجهة إليك أيضاً ...

فأنا منك ، ابن لك . وعندما يخطيء أولاد الله ، إنما يسيئون
إلى الأسرة كلها ، وإلى الأب نفسه . وهكذا فإن الرسول يقول
«الذى تفتخر بالناموس ، أبتعدى الناموس تهين الله ؟ لأن إسم
الله يجدف عليه بسببكم بين الأمم» (رو ٢ : ٢٣ ، ٢٤) . فإن
كان إسم الله يجدف عليه بسببك ، ألا تقول له « لك وحدك
أخطأت » ؟ كم بالأولى إذن داود الذى كان يعتبر مسيحياً
للرب ؟! لذلك قال له ناثان موبخاً « قد جعلت بهذا الأمر أعداء
الرب يشمتون » (٢ صم ١٢ : ١٤) . هي إذن خطية موجهة إلى
الرب ، جعلت أعداءه يشمتون .

٤ - هناك اعتبار رابع نقوله في مفهوم الفداء في العهد

الجديد :

لك وحدك أخطأت ، لأن كل خطية أرتكبتها ، ستحملها أنت
عنى ، لكى تمحوها بدمك الكريم . فأنا إنما أخطيء بها إليك
وحديك ، لأنك أنت وحدك الذى تحملها ، وأنت وحدك الذى تدفع

ثمناها للعدل الإلهي . وذلك كما قال اشعيا النبي « هو مجروح من
لأجل معاصينا ، مسحوق لأجل آثامنا ... كلنا كغنم ضللنا ، ملنا
كل واحد إلى طريقه ... والرب وضع عليه إثم جميعنا » (اش ٥٣ :
٥ ، ٦) .

فأنا أخطأت إليك وحدك ، لأنني حملت كل آثامي :

ما أخطأت به إلى بشبع ، وإلى أوريا ، لم تحمله هي ، ولا
هو ، ولا أنا ، إنما حملته أنت . أنت القدوس ، الذي بلا خطية
وحدك ، قد وضع عليك إثم جميعنا . وحينما أقول لك « ومثل كثرة
رأفاتك تمحو إثمى » ، إنما أقصد أن تمحوه بدمك ، تضعه عليك ،
وتدفع ثمنه نيابة عني ، وتكون أنت الفادي الذي تبذل ذاتك
عني . لذلك أنا أعترف بخطاياي لكي تحملها عني ، كذبيحة
خطية ... إذن فأنا « لك وحدك أخطأت » أيها الفادي الحنون ...

**لا يقل أحد إذن : أنا لم أخطيء ، لأنني لم أسء إلى
أى إنسان ! ...**

سواء أسأت إلى إنسان أو لم تسء ، فأنت قد أسأت إلى
الله ... مثال ذلك : خطايا الفكر ، أو النية ، مجرد رغبات القلب
الخاطئة ... أنت لم تضر بها أى إنسان ، ولكنك تقول عنها لله

« لك وحدك أخطأت » - أخطأت إليك يا فاحص القلوب وقارىء الأفكار... أخطأت إليك ، لأنى رفضت شركتك أثناء أخطاء الفكر والقلب هذه . لأنك نور ، وهذه الأفكار ظلمة « ولا شركة للنور مع الظلمة » (٢ كور : ١٤) ...

الخطية أصلاً موجهة إلى الله ، قبل أن تتجه إلى أحد من الناس ...

منذ بدايتها فى الفكر وفى القلب ، وقبل أن تخرج إلى حيز العمل والتنفيذ ، هى تمرد على الله وعلى وصاياه ، وعلى محبته ... هى ضد الله فى عملها ، وفى نتائجها أيضاً ، لأنها توجد خصومة بين الله والإنسان . ولذلك قال الرسول عن دعوة الناس إلى التوبة ، إنها خدمة المصالحة « ... فقال « وأعطانا خدمة المصالحة إذن نسعى كسفراء للمسيح ، كأن الله يعظ بنا » نطلب عن المسيح : تصالحوا مع الله » (٢ كور : ٥ : ١٨ ، ٢٠) .

ما هو شعورك إذن ، حينما تدرك أنك فى خصومة مع الله ؟

بغض النظر إن كانت الخطية ضد الناس أو ضد نفسك ، إنما هى خصومة مع الله وأنفصال عنه... وقد شرحنا لك هذا الأمر

بالتفصيل في كتابنا [الرجوع إلى الله] ... إذن فأنت محتاج إلى أن تعود إلى الله ، وتجدد علاقتك معه وارتباطك به . وتبدأ ذلك بقولك له « لك وحدك أخطأت » .

نقول هذا أيضاً حتى عن خطايا الجهل :

إننا نطلب في صلاة الثلاث تقديسات أن يغفر الله لنا سيئاتنا التي فعلناها بمعرفة ، والتي فعلناها بغير معرفة . لأنها سواء كانت بمعرفة أو بغير معرفة ، هي كسر لوصايا الله ، وبعد عن حياة الكمال . كما أن الجهل أيضاً قد يعتبر خطية . فالمفروض فينا أن نعرف وأن ننمو في المعرفة ، سواء بقراءة الكتب المقدسة أو عن طريق الصلاة ، قائلين للرب « عرفني يارب طرقك ، فهمني سبلك » . وإن كنا لا نقرأ الكتب التي تحكمنها للخلاص (٢تى ٣ ١٥) فإنه ينطبق علينا قول الرب « تضلون إذ لا تعرفون الكتب » (متى ٢٢ : ٢٩) .

حقاً إنك تخطيء إلى الله ، حينما تهمل كتبه وتهمل معرفته .

المفروض فيك أن تسعى إلى معرفة الله ، وأن تجد لذة في معرفة وصاياه ، وأن تنمو يوماً بعد يوم في المعرفة . وتعتبر رفض هذه المعرفة خطية . اترك تستطيع أن تقول : لا أريد يارب أن أعرفك ولا أريد

أن أعرف طرقتك ! إنك لا تجرؤ طبعاً أن تقول هذا ، ولكنك تفعل ذلك عملياً ، حينما لا تستخدم الوسائل التي توصلك إلى هذه المعرفة ... فإن قصرت في معرفة الله ، ولم تهتم بهذا الأمر ، ألا تقول له « لك وحدك أخطأت » .

هوذا السيد المسيح يقول عن تلاميذه في مناجاته للآب :

« عرفتهم إسمك وسأعرفهم ليكون فيهم الحب الذي أحببتنى به . وأكون أنا فيهم » (يو ١٧ : ٢٦) ..

إذن معرفة الله تؤدي إلى محبة الله . لأنه كيف تحب الله إن لم تعرفه !؟ لاشك أنك كلما تعرفه أكثر ، حينئذ تحبه أكثر . فالذي يقصر في معرفة الله ، إنما يقصر في محبته ، أو في الوسائل التي توصله إلى محبته . ألا يقول له حينئذ « لك وحدك أخطأت » ... أو كما قال له أوغسطينوس « تأخرت كثيراً في حبك أيها الجمال الفائق الوصف » .

هناك أمران يعطلان عبارة « لك وحدك أخطأت » :

أ - أولهما عدم احساسنا بالخطايا الموجهة إلى الله . فنحن نسعى إلى أن نصطلح مع الناس حينما نحس أننا قد أخطأنا إليهم . ولكننا نادراً ما نبذل جهداً للصلح مع الله ، لأننا لا نحس أننا

أحزنا الله بخطايانا. بينما العهد القديم يشعرنا بهذا الأمر وخطورته ، فيجعل المحرقة هي أول الذبائح « لا ١ » ، وهي ترمز إلى مصالحة قلب الله الغاضب على خطايانا ، واستيفاء العدل الإلهي . بينما الخطايا إلى الناس وإلى أنفسنا تمثلها ذبيحة الخطية وذبيحة الإثم . فمصالحة الله أولاً ، ثم خلاصنا من العقوبة بعد ذلك ...

إن أخطأنا إلى إنسان ، نفكر كيف نصالحه . ولكننا لا نفكر في نفس الوقت كيف نصالح الله !!

كما لو كانت الخطية موجهة فقط ضد الناس ، وليس ضد الله . هنا تصحح تفكيرنا عبارة « لك وحدك أخطأت ، والشر قدامك صنعت » . لذلك أجعل مشاعرك حساسة جداً من نحو الله . وفي كل خطية ترتكبها . فكر أولاً كيف أنك أسأت فيها إلى علاقتك بالله . ولا تجعل مشاعرك نحو الله في المرتبة الثانية . وليملك عليك الشعور بأنك أغضبت الله ، أكثر من شعورك بأنك أستحققت العقوبة . الله أولاً : أو كما قلنا : ذبيحة المحرقة أولاً ، قبل ذبيحتي الخطية والإثم ...

ب - المشكلة الثانية هي أننا نكتفى بالإعتراف ، بدون
المشاعر:

كل همنا أن نعترف ، ونستريح بهذا تماماً ، كما لو كان الأمر
قد أنتهى ... نذكر خطاياك ، دون أن نفكر في أن نصطليح مع الله !
دون أن نعتذر إليه ، ودون أن نندم على أننا أحزنا قلبه المحب ،
ودون أن نقارن بين أحساناته إلينا ، وإساءتنا إليه . ونقول له في
ندم وفي إنسحاق قلب «نحن يارب كنا ناكرين لجميلك . وما
فعلناه هو خيانة لك ولحبتك . ماذا نقول ؟ إننا في خجل
منك ...» ... لذلك أسأل نفسك :

هل أنت حزين لأنك أخطأت ، أم أحزنت قلب الله ؟

هل كل ما تفكر فيه هو التخلص من عقوبة الخطية ، أم أنت
تريد أرجاع علاقة الحب بينك وبين الله ؟ هل الإعتراف هو علاقة
بينك وبين الآب الكاهن : أنت تتكلم وهو يسمع ويقرأ لك
الحل ؟! أم أنك تعترف على الله في سمع الكاهن ، وتسمع المغفرة
من الله من فم الكاهن ؟ والإعتراف على الكاهن هو علاقة بينك
وبين الله أصلاً ، تقول له فيها « لك وحدك أخطأت » .

لا تفصل اعترافك عن التوبة وعن الله .

إن سر الإعتراف يسمى في الكنيسة « سر التوبة » فاذهب إلى الإعتراف بقلب منكسر ، نادم حزين على أنه أغضب الله وأنفصل عنه . وفي سر الإعتراف حاول أن تصطلح مع الله وترجع إليه وكل اعتراف تقوله ، اشعر أنك تقوله لله في سمع الكاهن ، وتقول له فيه « لك وحدك أخطأت » وليكن خجلك من الله أكثر من خجلك من أب الأعتراف .

بعد قوله « لك وحدك أخطأت ، والشر قدامك صنعت » ...

قال :

لكي تتبرر في أقوالك وتغلب إذا حوكت

أى مهما قلته يارب عنى ، ومهما حكمت به على ، فأنت بار في كل أقوالك وفي كل أحكامك ، لأنى أخطأت وفعلت الشر قدامك ، وأنا مستحق لكل عقوباتك . لست أجادلك أو أناقشك أبداً ، فأنت الذى تغلب ، لأنه أمامك « يستد كل فم » (رو ٣ : ١٩) .

أما عبارة « إذا حوكت » فمعناها : إذا عوقبت أو نوقشت .

أو إذا قلت لك « يارب لماذا ... ؟ » أو كما قال ارميا النبي

«ابر أنت يارب من أن أخاصمك . ولكنى أكلمك من جهة أحكامك : لماذا...» (ار ١٢ : ١) أنا لست أستطيع أن أتكلم ، لأنى مضبوط فى الخطية ، وخطاياى كثيرة وبشعة . إن ناقشتك فى حكمك ستغلب . فالأفضل أن أصمت .

لأنى هانذا باللائم حبل بى وبأخطايا استهتتى أُمى

أى أن الخطايا لها جذورها فى طبيعتى البشرية ... هذه الطبيعة التى فسدت منذ البدء ، وورثت أنا هذا الفساد فى طبعى ، حينما حبلت بى أُمى . لست أقدم هذه الحقيقة كاعتذار ، إنما مجرد تقرير لحالتى ... إذ كيف أعتذر ، وأنت

هكذا أحببت الحق إذ أوضحت لى غوامض حكمك ومساواتها

فأنا لم أخطئ عن جهل ، لأنك كشفت لى كل شئ فى شريعتك ، وفى الضمير الذى وهبتنى إياه . فلم يعد شئ من الحق غامضاً أمامى أو مستوراً عنى . أعطيتنى الوصية ، قبل أن أقع فى الخطية . فماذا أقول إذن؟! وأى عذر أتقدم به؟! لست أقول
سوى :

أنضح عليّ بزوفالك فاطهر واغسلني فابيض أكثر من الثلج...

نلاحظ هنا أن المرتل مرتبك . يقول الكلام ويعيده . ينتقل إلى معنى جديد ، ثم يرجع إلى الكلام السابق فيكرره ... لقد قال من قبل « اغسلني كثيراً من إثمي ، ومن خطيئتي طهرني » . وهو يعيد الكلام عن حاجته إلى الغسيل والتطهير... ثم يعود فيما بعد فيقول « قلباً نقياً اخلق فيّ يا الله ، وروحاً مستقيماً جدده في أحشائي » .

ما معنى قوله « أنضح عليّ بزوفالك فاطهر؟ » .

الزوفا كانت نباتاً مثل « شرش الجزر » يغمسونها في دم الذبيحة ، ويرشون بها للتطهير، أى للتطهير بالدم .

وحسن أن يذكر الإنسان هذا الأمر في صلاته ، لأنه بدون سفك دم ، لا تحصل مغفرة (عب ٩ : ٢٢) .

فهو محتاج للتطهير... ولا يأتي هذا التطهير إلا بالزوفا المغموسة في دم الفادي الكريم ، كما قال القديس يوحنا الرسول « ودم

يسوع المسيح إبنه يطهرنا من كل خطية» (١ يوا : ٧) ... والمرتل يذكر إنه محتاج أن يغتسل بهذا الدم ، فيقول :

« اغسلنى فابيض أكثر من الثلج »

هى نفس الطهارة والنقاوة ، التى يكرر طلبها كثيراً فى هذا المزمور ... أنا سقطت وتدنست وتنجست . وهوذا أنا ألبأ إليك طالباً أن تطهرنى من هذه الطبيعة الفاسدة الميالة للسقوط ومن هذه الخطية الحالية ... لست عن العقوبة أتكلم ، وإنما عن حاجتى إلى الخلاص وإلى النقاوة الكاملة التى فيها أبيض أكثر من الثلج . وتزول هذه الخطية من أمام وجهك ، حسب وعدك عن الشرير فى حالة توبته « إنه حياة يحيا ... لا يموت . كل خطيته التى أخطأ بها ، لا تذكر عليه » (مز ٣٣ : ١٥ ، ١٦) نعم لا تذكر عليه ، حسب وعدك « وخطاياك لا أذكرها » (اش ٤٣ : ٢٥) ، لأنها قد محيت تماماً (اش ٤٣ : ٢٥) (اش ٤٤ : ٢٢) (ار ٣١ : ٣٤) لا يحسبها علينا (٢ كو ٥ : ١٩) (مز ٣٢ : ٢) . ولأنه الآن قد « أبيض أكثر من الثلج » ... تعبير عجيب ، أسمى من أن يشرح ... يكرر داود الكلام عن حاجته إلى التطهير والنقاوة ، لأنه فى

عمق الحزن بسبب سقطته . لذلك يقول للرب :

اسمعنى سروراً وفرحاً فلبتهج عظامى المنسحقة ...

وفى بعض الترجمات « فبتتهج عظام قد سحقتها » أما ترجمة « فبتتهج عظامى المتواضعة » فهى ترجمة غير دقيقة . تشبهها أيضاً عبارة « انظر إلى تواضعى وتعبى » وصحتها « انظر إلى انسحاقى أو ذلى ، وتعبى » ...

هنا نتأمل أهمية الانسحاق والحزن المقدس :

كل إنسان معرض للخطية . لا يوجد أحد أكبر من الخطية ، التى طرحت كثيرين جرحى ، وكل قتلاها أقوياء » (أم ٧ : ٢٦) . فى الخطية سقط شمشون وداود وسليمان وبطرس الرسول وغيرهم . ولكن الفرق بين الشخص الروحى والشخص غير الروحى ، هو أن الروحى يسقط ويحزن كثيراً على خطيته ، مثلما فعل بطرس ، إذ خرج خارجاً ، وبكى بكاءً مرأً (متى ٢٦ : ٧٥) . أما غير الروحى ، فإنه يسقط ويقابل الأمر بلا مبالاة !

وداود - لأنه شخص روحى - حزن على خطيته ...

أسباب عدم الحزن على الخطية

عدم الحزن على الخطية هو ظاهرة روحية غير صحيحة . ولهذا الأمر أسباب عديدة نذكر منها :

١ - إما أن هذا الإنسان عنده شيء من البر الذاتي، يجعله يشعر أنه لا يخطيء...

٢ - وإما أن ضميره واسع ، ومقاييسه الروحية غير سليمة ، فلا يشعر بعمق الخطية ، أو قد لا يحس إطلاقاً أنه أخطأ . أو أنه يحس الخطأ ، ولكنه يتساهل معه .

٣ - وإما أنه لا يجلس إلى نفسه لكي يفحصها ولكي يحاسبها ، فهو في غفوة ويحتاج إلى يقظة روحية .

٤ - وإما أنه من النوع الذي يدلل ذاته وبجاملها ، ويقدم لها تبريرات عديدة في أخطائها . فكل خطأ يرتكبه ، يضع أمامه عذراً أو أعذاراً تخفف منه وتستتر عليه ...

٥ - وإما أنه من كثرة أستمراره في الخطية ، قد اعتادها ،

وأصبحت بالنسبة إليه شيئاً طبيعياً أو عادياً، لا غرابة فيه، ولا يستلزم التوقف عنده، للحكم عليه أو للحزن بسببه...!

٦ - وإما أن هذا الخاطئ يعيش في بيئة غير روحية. فهي غير مدققة في أفعالها. فهي لا تجعله يشعر أبداً أنه قد أخطأ، بل قد تساعده على الخطأ وتشجعه عليه، أو تبدأ الخطأ وتشركه معها... وإن شعر أنه يخطئ، تهون عليه الأمر. ولذلك فإن الذين يعيشون في بيئة خاطئة، لا يحزنون على خطية يرتكبونها!

مثال ذلك: إنسان يعيش في بيئة أو في بيت كل من فيه يشتم ويحلف. هذا إن شتم أو حلف، لا يجد من يوبخه. بل يبدو الأمر عادياً جداً. بعكس الذي يعيش في بيئة متدينة، إن فعل هذا ينجل ويحزن، لأن السامعين لا يتقبلون ذلك منه.

٧ - كذلك الإنسان الذي يعيش في لذة الخطية، هذا لا يجد في داخله ما يبكته أو ما يحزنه!

بل هو على العكس سعيد بالخطية، لا يحزن على ارتكابها بل قد يحزن على تركها أو على الحرمان منها! وداود في بادئ الأمر لم يكن حزيناً على خطيته، بل كان مستمراً، ينتقل من خطوة إلى أخرى تكملها، يرفه عن نفسه بهذه الخطية وياكمالها « إلى أن

نبه ناثان النبي إلى بشاعة ما قد فعل . وحينئذ حزن داود .

حقاً ، ما أكثر ما يستمر إنسان سنوات في خطيته ، دون
تبكيت من ضمير، ودون حزن على ما فعل وما يفعل !

وكما ذكرت لكم في كتاب (اليقظة الروحية) أنه يشبه كرة
تتدحرج من على جبل ، وتظل تتدرج وتتدحرج إلى اسفل ، دون
أن تملك قوة على الوقوف . إلى أن يحدث مثلاً أن يعترضها حجر
كبير فيوقفها بعد إنحدار طالت مدته ... !

فائدة الحزن والإسحاق

أخيراً استيقظ داود إلى نفسه ، وفي غمرة الحزن على سقطته ،
قال للرب في ألم وفي رجاء :

« اسمعنى سروراً وفرحاً ، فتبتهج عظامى المنسحقة » .

اسمعنى عبارة عزاء تريحنى وتريح ضميرى من الداخل ...
عبارة طيبة تدخل الفرح إلى قلبى الحزين ، وإلى نفسى المنسحقة ...
ولكن الله أحياناً حينما يخلص إنساناً ، ويرد إليه سروره ، لا
يسمح أن يتم ذلك بسرعة ، لأن هناك مبدأ معروفاً يقول « إن

الشيء الذى تناله بسرعة ، قد تفقده بسرعة» ذلك لأنك لم تتعب
فى الحصول عليه ، ولم تعرف قيمته كما ينبغى ...

لذلك يسمح الله أن المخطيء ، يستمر فى حزنه فترة ...

يبقى فترة فى الذل والحزن والألم والانسحاق ، حتى تستوفى
التوبة نصيبها من الندم ، ويشعر الإنسان ببشاعة ما قد فعل .
وحيثئذ . إن سمح له الله بالفرح ، لا يقوده هذا الفرع إلى
الاستهتار ، لأنه مؤسس على دعامة من الانسحاق .

وللأسف ، فإنه فى بعض الطوائف ما أن يتوب خاطيء ،
حتى يهللون ويفرحون ، ويطلبون منه أن يقف على المنبر ليحكى
(اختباره) للناس ... وهكذا يتحول بسرعة وفجأة من خاطيء إلى
واعظ !! ولكن الكتاب لم يعلم بهذا ...

إن الحزن مفيد للإنسان روحياً ، لذلك يسمح الله به :

وقد ضرب لنا الكتاب مثلاً بحزن داود ، الذى بلل فراشه
بدموعه ، وبحزن بطرس الرسول الذى بكى بكاءً مرأ . وذكر لنا
أيضاً الذل الذى كابده شمشون إلى أن أستجاب الله لصلاته
أخيراً . وما أكثر الآيات التى ذكرت فى الكتاب عن البكاء
والدموع والحزن المقدس ... ولكنى سأذكر هنا مثلاً واضحاً بارزاً ،

وهو:

فرح بولس الرسول بحزن أهل كورنثوس والشباب
الخطيء:

في الرسالة الأولى أمر أن يسلم هذا الخطيء للشيطان لإهلاك
الجسد، لك تخلص الروح في يوم الرب (١ كوه: ٥). ووبخ
أهل كورنثوس لأنهم لم يعزلوا الخبيث من وسطهم، ولأنهم «لم
ينوحوا» (١ كوه: ٢، ١٣). وفي الرسالة الثانية يذكر أنه
أحزنهم، ويعلق فرحه بحزنهم، فيقول: «الآن أنا أفرح، لا
لأنكم حزنتم، بل لأنكم حزنتم للتوبة، لأنكم حزنتم بحسب
مشيئة الله...» (٢ كوه: ٧: ٩).

ويقول عن هذا الحزن «لكي لا تتخسروا منا في شيء. لأن
الحزن الذي بحسب مشيئة الله ينشئ توبة لخلاص بلا ندامة...
فإنه هو ذا حزنكم هذا عينه بحسب مشيئة الله، كم نشأ فيكم من
الإجتهاد... بل من الغيرة...» (٢ كوه: ٧: ٩ - ١١).

كذلك ذلك الشباب المخطيء نفعه الحزن، ونفعه العزل
والعقوبة، حتى أن الرسول عاد ليقول «يكفيه هذا القصاص...
حتى تكونوا بالعكس تسامحونه بالحرى وتعزونه، لثلا يتلع مثل هذا
من الحزن المفرط» (٢ كوه: ٦، ٧).

مسكين الإنسان الذى يخطىء، ولا يحزن على خطيئته،
ولم يجد كذلك من يحزنه، ومن يبكته ويوبخه على خطيئته...
وهكذا مرت الخطية بسهولة بلا ندم، وبلا مذلة... ومسكين أكثر
الإنسان الذى لا يقبل التوبيخ، ويحزن بسببه لا بسبب الخطية!
كيف يصل مثل هذا الإنسان الخاطيء إلى التوبة؟! وإلى الندم
والحزن المقدس... إننى أتأمل أولئك الذين حزنوا على خطاياهم
وأتعجب...

وبخاصة الذين شهرت خطاياهم، وسجلت في كتب!

من منا لا يذكر خطيئة داود التى ذكرت في الكتاب المقدس
(٢صم ١١، ١٢)، والتى سجلها داود في مزاميره، مصحوبة
بدموعه، ويردها الناس حينما يصلون، على الرغم من أنها نقلت
عنه ومحيت وأبيض أكثر من الثلج.

ومن منا لا يذكر إنكار بطرس، ويجعله كثير من الوعاظ
موضوعاً لعظاتهم، على الرغم من توبة بطرس وتعبه الكثير في
الكراسة والتبشير...! ومن منا لا يذكر زنا راحاب، على الرغم من
خلاصها وذكرها في سلسلة الأنساب... ومع ذلك مازال إسمها هو
راحاب الزانية، ليس فقط في العهد القديم (يش ٦ : ١٧) بل

حتى في العهد الجديد أيضاً (عب ١١ : ٣١) في قائمة شخصيات
الإيمان ! أترانا سنناديها باسم راحب الزانية في الأبدية أيضاً؟؟
بل لناخذ مثال القديس أوغسطينوس في اعترافاته ...

لقد كتب اعترافاته في كتاب قرأته جميع الأجيال من بعده...
مع أنه صار من آباء الكنيسة المشهورين الذين دافعوا عن الإيمان ،
وله مؤلفات مملوءة بالتأملات الروحية العميقة التي أستفاد بها
الملايين ، إلا أن خطيته ليست فقط أمامه كل حين ، بل أمام
الكل في جميع الأجيال منشورة ومشهورة .

كذلك أيضاً نذكر القديسين الذين شهرت خطاياهم ،

على الرغم من أنهم تابوا وصاروا من قديسي التوبة ، ووصل
بعضهم إلى الرهبة ، وإلى السيامة ، وإلى مناصب الرعاية
الكبرى..و من بين هؤلاء القديس موسى الأسود ، والقديس
كبريانوس رئيس الأساقفة والقديسة مريم القبطية ، والقديس
بيلاجية ... وخطايا هؤلاء القديسين ، والقديسات مسجلة يدرسها
الكبار والصغار...

وماذا نقول نحن عن أنفسنا الذين خطايانا مستورة ، ومع
ذلك لم نبك ونحزن عليها !!

مع أننا أعترفنا بها في السر ولا يعلم بها أحد . وإن تصادف
واشار أحد إلى شيء منها ، ولو من بعيد ، ولو عن طريق التلميح ،
نثور ونضج ، ونقيم الدنيا ونقعدها ، ولا نعترف أننا أخطأنا بشيء !
حتى الاعتراف السرى على الكاهن نستثقله أحياناً ونستصعبه !
أين التوبة إذن والحزن المقدس ؟ هوذا القديس مقاريوس الكبير
يقول « احكم يا أخى على نفسك قبل أن يحكموا عليك » . لعله
أقتبس هذا من (١ كور ١١ : ٣١) . أترانا أيضاً نقبل التأديب
ونرضى به كما قال الرسول :

« نؤدب من الرب ، لكى لا ندان مع العالم »
(١ كور ١١ : ٣٢) .

على الأقل فمارس شيئاً من هذه الكآبة المقدسة التى قال عنها
الكتاب « بكآبة الوجه يصلح القلب » (جا ٧ : ٣) . فمارس الحزن
المقدس الذى نشعر فيه أننا بالخطية قد سقطنا ، وأنفصلنا عن الله ،
وعن شركة الروح القدس ، وأحزنا الروح القدس ، والملائكة
والقديسين ... ولو إلى حين ... ونندم ونبكى على خطايانا .

إن ندم داود ، لم يكن ندماً عابراً ، بل مستمراً ...

لم يكن ندماً إلى لحظة وأنتهى ، بل إنه يقول « أعوم في كل

ليلة سريري ، ودموعى أبل فراشى « (مز ٦) لاحظ عبارة - كل ليلة- ويقول أيضاً (خطيئتي أمامي في كل حين» . وعبارة - كل حين- تعنى الاستمرارية. إن لذة الخطية كانت إلى لحظة أو لحظات ، أما الندم عليها فكان كل حين، إنها أفقدته فرحه وسلامه ، وأفقدته دالته ، وشركته مع الله ، وأفقدته عزاءه الداخلى ... لذلك صرخ إلى الله قائلاً «اسمعنى سروراً وفرحاً فتبتهج عظامى المنسحقة» . ولا يقصد عظام الجسد ، وإنما رمز ذلك روحياً إلى إنسحاق نفسه .

يذكر المرتل الوسيلة التى تبتهج بها عظامه المنسحقة فيقول :

« اصرف وجهك عن خطاياى وأمع كل آسامى »

« قلباً نقياً اخلق فى يا الله . وروحاً مستقيماً جدده فى أحشائى . لا تطرحنى من قدام وجهك . وروحك القدوس لا تنزعه منى » .

« أمنحنى بهجة خلاصك ، وبروح رئاسى عضدنى » .

فهو يريد أن خطاياها ، لا تكون أمام عينى الله باستمرار أى لا يذكرها له الله ، بل يحوها كأن لم تكن .

ولكن الوسيلة التي بها ينسى الله الخطايا ، هي أن يتوب
الخطيء ، ويصير له قلب نقي وروح مستقيم .

فطالما هو مستمر في خطاياها ، تظل هذه الخطايا قائمة أمام
الله ، لا يصرف وجهه عنها . إذن لا بد من التوبة ونقاوة القلب
وحياة الإستقامة . وهنا يرى المرتل أن هذه النقاوة ليست في
مقدور إرادته الضعيفة ، فقد جرب نفسه ، وعرف كم هو ساقط ،
وكم هو سهل الإنجذاب إلى الخطية . إذن لا بد من معونة إلهية
ليحيا في النقاوة . ولذلك يقول « قلباً نقياً اخلق فيّ يا الله ... » .
وعبارة « اخلق » لا تعنى مجرد اصلاح القلب وترميمه !

بل تعنى أنه يريد قلباً آخر غير هذا القلب القديم الذى أخطأ ،
قلباً من عند الله ، عبارة عن « خلقة جديدة » (٢ كو ٥ : ١٧) .
فلا يبقى القلب كما هو ، وتضاف إليه بعض المشاعر وكأنها
« رقعة جديدة على ثوب عتيق » (متى ٩ : ١٦) . وإنما المطلوب هو
خلق قلب جديد لا علاقة له بالماضى كله ، بما فى ذلك الماضى من
ذكريات وأفكار وانفعالات .

وإلى جوار القلب الجديد ، روح مستقيم .

داود إذن يريد الإصلاح من الداخل ، القلب والروح ، وليس

مجرد اصلاح التصرفات الخارجية ، فكثيراً ما يغير الإنسان تصرفاته الخارجية ثم يرجع مرة ثانية إلى الخطية ، لأن القلب نفسه ليس سليماً ، والروح ليس مستقيماً . ولكن المرتل يهتم هنا بداخله ، فيقول « في أحشائي » .

ويطلب إلى جوار روحه المستقيم ، عمل روح الله فيه .

فيقول للرب « روحك القدوس لا تنزعه مني » ... حقاً إنني لم أطع روحك ، ولم أشارك معه في العمل ، بل قاومته وأحزنته . ومع ذلك « لا تنزعه مني » . أستبقه في داخلي ، يبكتني على خطية (يو ١٦ : ٨) ، ويرشدني إلى كل حق ، ويذكرني بكل ما قلته لي (يو ١٦ : ١٣) (يو ١٤ : ٢٦) ، فنزع روحك مني ، معناه أنك قد طرحتنى من قدام وجهك ، وقطعت صلتك بي تماماً ... !

عضدني إذن بروحك لكيلا أفشل ... وماذا أيضاً ؟

« فأعلم الأئمة طرقك والمنافقون إليك يرجعون »

يجب أن نأخذ هذه الطلبة بمعنى رمزي ، وليس بمعنى حرفي . فمن غير المعقول أن المصلى وهو منكسر القلب وشاعر بخطاياها ، ينتقل فجأة إلى موقف المعلم والمرشد ! أما أنت فحينما تقول هذه

العبرة في صلاتك ، قل في ذهنك : هؤلاء الأثمة ليسوا سوى
حواسي وأفكارى ومشاعرى . أما المنافقون فأعنى بهم المظاهر التى
أبدو بها أمام الناس باراً وأنا مملوء بالخطية !! وإذ يتذكر الإنسان
خطاياها كلها أمام الله ، يصرخ قائلاً :

ينجنى من الدماء يا الله إله خلاصى

ولعلك تقول : « وما شأنى بهذه الطلبة ، وأنا لم أسفك دمأً
طوال حياتى ؟! » . أقول لك : بل هذه الطلبة تخصك وتخص كل
إنسان على وجه الأرض ، إذا فهمنا كلمة الدماء بمعنى آخر وهو :

النفوس التى هلكت ، ومن يدك يطلب الله دمها :

ولعل هذا يوافق ما ورد فى سفر حزقيال النبى ، حيث يقول
الرب « ... فذلك الشرير يموت بذنبه ، أما دمه فمن يدك أطلبه »
(حز ٣٣ : ٨) . مثل هذا الدم هو الذى تطلب من الله أن ينجيك
منه ... إذن يمكن أن يكون المقصود بالدماء فى هذه الآية ، هو المعنى
الروحى وليس مجرد المعنى المادى ...

الذين يتسبون فى هلاك غيرهم ، يطالبهم الرب بدمائهم :
من أمثلة ذلك كل من يعثر غيره ويوقعه فى الخطية ، حتى لو

لم يخطيء معه ... من أمثلة ذلك الفتاة التي تعثر شاباً فيسقط في الخطية بالفكر والشهوة أو بالفعل بسببها ، حتى دون أن تسقط هي معه ... ومن أمثلة ذلك بلعام الذي ألقى بعثرة أمام بنى اسرائيل (رؤ ٢ : ١٤) . وبالمثل من يعثر غيره بأفعاله الخاطئة ، فيوقعه في خطية الإدانة وما يصحبها من غضب ... أو من يثير غيره ويوقعه في الغضب ، دون أن يغضب هو .

كذلك تنطبق هذه الطلبة على من ينشرون البدع والهرطقة والتعليم الخاطيء .

فإن كان الناس يمكن أن يهلكوا روحياً ويفقدوا أباديتهم ، عن طريق البدعة والهرطقة ، إذن لابد أن يطالب بدمائهم من اخترع هذه البدع ومن نشرها ومن علم بها ... ترى كم من الدماء سوف يطالب بها أريوس وأوطاخى ونسطور ، وكذلك من ينشرون أفكار شهود يهوه وأمثالهم ... لأجل هذا كله يقول الرسول « لا تكونوا معلمين كثيرين يا أخوتي ، عالمين أننا نأخذ دينونة أعظم ، لأننا في اشياء كثيرة نعثر جميعنا » (يع ٣ : ١ ، ٢) . فليحترس إذن الذين ينشرون تعاليم خاطئة ، لأنهم بذلك ينالون دينونة أعظم ، وفيها يطالبهم الله بدماء كل من أعتنقوا تعاليمهم ... كم

وكم إذن تكون دينونة من ينشرون الإلحاد بالتعليم وبالكتب
وبالسلطة وبالمثل كل من يثيرون الشكوك في الدين وفي العقيدة
ويفسدون إيمان كثيرين يطالبهم الله بدمائهم ...

**تنطبق هذه الطلبة أيضاً على الذين يهملون في أمور الرعاية
والخدمة والتعليم .**

وهكذا يقول الرب في سفر حزقيال النبي « إن لم تتكلم
لتحذر الشرير من طريقه ، فذلك الشرير يموت بذنبه . أما دمه فمن
يدك أطلبه » (حز ٣٣ : ٨) وينطبق هذا على كل الذين يعملون
في الرعاية ، كل منهم في نطاق اختصاصه ... وفي طقس رسامة
البطريرك يقال له « تسلم عصا الرعاية من يد راعي الرعاة الذي
أثمتك على رعيته . ومن يدك يطلب دمها » ... لذلك فالسلطة
يسمونها أيضاً مسئولية ، لأن الله سيسأل صاحبها عن النفوس
التابعة له ...

وبالمثل ينطبق هذا على الوالدين في تربية أبنائهما .

سيطالبهما الله بدم كل ابن أهمل في تربيته . ومن الأمثلة
الواضحة في ذلك «عالي الكاهن» وما أوقعه الله عليه من عقوبة
شديدة ، لأنه أهمل في تربية أولاده ، على الرغم من أنه وبخهم
على فسادهم ولكن بطريقة هينة غير حازمة لم تستطع أن تأتي

بالتأثير المطلوب . وينطبق هذا الكلام بالمثل على المرشدين
الروحيين وخدام التربية الكنسية، وكل من أؤتمنوا على تربية
النشء، كالمشرفين على الملاجىء مثلاً ...

ولعل هذا ينطبق أيضاً على الذين يتخذون موقفاً سلبياً .

أى الذين أمامهم فرصة لإنقاذ الآخرين ولم يتقدموا
لإنقاذهم، مادامت لديهم القدرة على ذلك ... فليس الخطأ فقط
فيمن يقودون غيرهم إلى الهلاك، فيطالبون بدمائهم ... أترك بعد
كل هذا لا تقول «نجنى من الدماء يا الله، إله خلاصى» ...

جميلة وعميقة هذه العبارة : إله خلاصى .

وما أكثر ما يتحدث داود فى المزامير عن الله مخلصه ، فيقول
«خلصنى يارب فإن البار قد فنى» ، «اللهم باسمك خلصنى» ،
وأيضاً تلك العبارة التى نقتبسها منه فى صلوات البصخة «قوتى
وتسبحتى هو الرب ، وقد صار لى خلاصاً» ... ويتحدث داود
كثيراً عن تفاصيل هذا الخلاص الذى ناله ، ويتغنى به ... والسيدة
العدراء نفسها تغنت بهذا الخلاص أيضاً فى تسبحتها المشهورة
فقالت «... وتبتهج روحى بالله مخلصى» (لوا : ٤٧) .

أترك أنت أيضاً : تبتهج روحك بالله مخلصك ؟

أولاً تطلب منه وحده الخلاص . ثم تتأمل في كل المواقف التي خلصك الله فيها ، وتشكره عليها وتبتهج بالرب . تتذكر كم خلصك من الخطية ومن العقوبة ، ومن الناس الأشرار ، ومن الهلاك الأبدى ... وكم غفر لك ...

تأمل في الزمور أيضاً ، كيف أنه نتيجة لهذا الخلاص يقول
المرتل :

فِيْبْتَهْج لِسَانِي بَعْدَكَ

كثيرون يبتهجون برحمة الله ويتغنون بها ، ويطلبونها .

ولكن ما أجمل أن نتغنى بعدل الله أيضاً ، ونبتهج به ...

جميل جداً أن نسمع داود النبي يقول للرب في آخر مزامير باكر « استجب لي بعدلك » (مز ٤٣ : ١) ولم يقل برحمتك . لأن عدل الله أيضاً هو عدل رحيم ... عدل الله يعرف تماماً قوة أعدائنا الشياطين ، وعنف الخطية في هجومها ، وكيف أنها طرحت كثيرين جرحى . ، وكل قتلاها أقوياء » (أم ٧ : ٢٦) ... ويعرف أيضاً طبيعتنا المائلة غير الثابتة ، ومتاعب ارتباطنا بالجسد وبالمادة « يعرف جبلتنا ... يذكر أننا تراب نحن » (مز ١٠٣ : ١٤) .

ولذلك فإن الله بعدله ، يقدر ظروفنا ويرحمنا .

إذ يرى أن لنا عدوين : العدو الخارجى ، والعدو الداخلى أيضاً . وقد صرخ القديس بولس الرسول من هذا العدو الداخلى فقال « الشر الذى لست أريده فأياه أفعل .. فإن كنت ما لست أريده أياه أفعل ، فلست بعد أفعله أنا ، بل الخطية الساكنة فى » (روم ٧ : ١٩ - ٢٠) . ويختم شكواه هذه بقوله « أرى ناموس الخطية ... وبحي أنا الإنسان الشقى ... من ينقذنى من جسد هذا الموت » (روم ٧ : ٢٣ ، ٢٤) . لا شك أن الله بعدله ، يُقدر كل هذه المحاربات ، ويرحم ...

وإذ يرحم ، يبتهج لساننا بعدله .

وحسن هنا أن نرى اللسان وهو يستخدم للبر وليس للخطية ... كم قد شكنا منه الكثيرون ، وقال عنه القديس يعقوب الرسول إنه « عالم الإثم ... شر لا يضبط ، مملوء سمأ مميتاً » ، « لم يستطع أحد من الناس أن يذله » (يع ٣ : ٦ - ٨) . ولكن اللسان هنا يمكن أن يستخدم للخير « به نبارك الله الآب » (يع ٣ : ٩) ونبتهج بعدله ... ونغنى للرب ، ونسبحه ...

درب نفسك إذن على الاستخدام الطيب للسان ، وتذكر قول

الكتاب :

« فم الصديق ينبوع حياة » (أم ١٠ : ١١) .

وأيضاً « في شفتى العاقل توجد حكمة » (شفتا الصديق تهديان كثيرين» (أم ١٠ : ١٣ ، ٢١) . ونقرأ في سفر النشيد قوله « شفتاك يا عروس تقطران شهداً » (نش ٤ : ١١) إذ يقطر منها الفهم والحكمة ، وكلمات البركة والعزاء ، وكلمات التسييح والصلاة ، وكلمات النصح والإرشاد ... ولكن متى يحدث هذا كله ؟ يقول المرتل :

افتح يارب شفتى فينطق فمى بتسبحتك

حينما يفتح الله فمك ، طبيعى أن يخرج منه كلام طيب ، وحينئذ شفتاك تقطران شهداً... ولكن أسأل نفسك بكل صراحة وجدية :

هل فى كل مرة تتكلم ، يكون الله هو الذى يفتح فمك ؟

أم أن فمك يفتح بعوامل بشرية ، وبانفعالات خاطئة ؟ قل للرب إذن : افتح يارب شفتى ، لأنى كثيراً ما تكلمت فندمت . ولأن كثرة كلامى لا تخلو من معصية (أم ١٠ : ١٩) ... داود يطلب أن يفتح الله فمه ، لأنه ببشريته فتح فمه من قبل ، فدبر

مؤامرة لقتل أوريا الحثي (٢صم ١٠). فيريد أن يعوض الأمر بأن يترك للرب أن يفتح فمه ليسبحه .

وأيضاً لأنه في خطيته ، لا يستطيع أن يفتح فمه بالتسبيح ،
إذ لا توجد دالة بينه وبين الله ... !

لذلك يطلب من الله أن يفتح فمه بالتسبيح . يمنحه الدالة والحب والمغفرة ، حتى يستطيع أن يسبح الرب ... حقاً إن الخطية تستطيع أن تغلق أفواهنا عن الكلام مع الله ، بل أيضاً عن الكلام عن الله . وكما يقول المرتل أيضاً :

كيف نسبح تسبحة الرب في أرض غريبة؟! (مز ١٣٧ :
(٤) .

كيف نسبحه و نحن في سبي الخطية ، وقد فقدنا الدالة والحب ، وعلقنا قيثاراتنا على الصفصاف . إن الخاطيء ينجل من الكلام مع الله ... وكثيراً ما يتذكر قول الكتاب : « ذبيحة الأشرار مكرهة للرب » (أم ١٥ : ٨) . لذلك يطلب من الرب أن يفتح فمه ويطلب منه أن يصرف وجهه عن خطاياها ، لترجع الدالة ويرجع الحب ، وبالتالي يرجع التسبيح .

وهكذا يكون التسبيح أيضاً للتائبين . وليس فقط لمن

ارتفعوا في الحب الإلهي ... فالتوبة والمغفرة ينتجان الحب أيضاً
(لو ٧: ٤٧).

ينطق فني بتسبيحك

التسبيح هو عمل السارافيم (اش ٦) ... وهو أرقى
درجات الصلاة:

حيث ينسى الإنسان ذاته ، ولا يطلب أى طلب ، إنما ينشغل
بالتغنى بصفات الله الجميلة ، وينشغل بتمجيده ... وهذا دليل على
محبة الإنسان لله ، كما قال داود أيضاً : «محبوب هو إسمك
يارب ، فهو طول النهار تلاوتى» ... فكأن المرتل الذى بدأ بطلب
الرحمة لنفسه ، وطلب لها التطهير والغسيل والتنقية والاستقامة
والنجاة من الدماء ، ما أن يصل الآن إلى الله ، إله خلاصه ، حتى
تتحول مشاعره من الخوف إلى الابتهاج ... وينسى نفسه لكي
ينشغل بتسبيح الله الذى صنع معه كل هذا الخلاص .

هل أختبرت في صلواتك عنصر التسبيح ؟

هل تدربت كيف تتأمل في صفات الله الجميلة ، إلهنا
الطويل الروح ، الكثير الرحمة الجزيل التحنن ... إلهنا القدوس

الكامل ، غير المحدود ... الأزلى الأبدى ، الذى لا يحد ... حسب
كثير من صلوات القداس الغريغورى ؟ ... أم أنت لا تزال منشغلاً
بنفسك ، لا تقف أمام الله إلا لتطلب طلباً ... !

هل أنت فى صلواتك منشغل بالله وملكوته ؟ ... أم
بنفسك ؟

« اطلبوا أولاً ملكوت الله وبره » (متى ٦ : ٣٣) هكذا علمنا
الرب ... أن الإنسان الذى دخل فى نطاق الحب الإلهى ، يجعل الله
بالنسبة إليه هو الكل فى الكل (١كو ١٥ ، ٢٨) ... ويقول
القديس بولس الرسول « فأحيا - لا أنا - بل المسيح الذى يحيا فى »
(غل ٢ : ٢٠) .

هل أختبرت عبارة « لا أنا » فى صلواتك ؟

إن أختبرتها فى صلواتك ، فلا بد ستختبرها فى حياتك ، فتقول
« أحيا ، لا أنا » ... وإن أختبرتها فى حياتك ، لا بد ستختبرها أيضاً
فى صلواتك ... إبدأ إذن فى أن تدرب نفسك على بعض صلوات ،
ولو قصيرة ولو قليلة ، تنسى فيها نفسك ، ولا تطلب طلباً سوى
ملكوت الله ، وتتغنى بصفة أو أكثر من صفات الله ، فتحدث الله
عن ذاته هو ، لا عن ذاتك أنت ...

وان لم تستطع ، وكنت ثقيل الفم واللسان في هذه الصلوات ، اطلب معونة الرب لتدريك ، وقل له في صراحة وفي ضراعة « أفتح يارب شفتي ، فينطق فمي بتسيحك » .

يا ليتك تعمل على تكريس شفتيك لله :

وإذا تكرست شفتك لله ، أعنى للحديث معه والحديث عنه ، حينئذ سيتخلص فمك من الأحاديث العالمية ومن أخطاء اللسان ، ولا ينطق فمك إلا بكلمة حياة . وحينئذ أيضاً ستنمو في صلواتك ، وفي حياة التسبيح . وربما يصمت فمك ، ليتكلم قلبك مع الله ... يصمت مع الناس ، ليتكلم مع الله ...

وبتكريس الشفتين للرب ، تصل أيضاً إلى تكريس الفكر له .

وتصل إلى تكريس القلب أيضاً . وتستطيع أن تقول كما نقول في التسبحة اليومية : « قلبي ولساني يسبحان القدوس » . نعم يشترك القلب واللسان معاً ، لأن الله لا يريد الشفتين فقط ، بل القلب أولاً ... وفي تسبيح فمك ، تشترك حواسك أيضاً ... تخجل من أن تخطيء في جو هذا التسبيح .

وبهذا يتكرس الإنسان كله ، فماً وقلباً وحواساً وفكراً .

إن بدأت بالقلب « من فيض القلب يتكلم اللسان »
(متى ١٢ : ٣٤). وهنا تشترك الشفاه مع القلب وتعبر عن
مشاعره . وإن كان القلب لم يصل بعد إلى هذا الكمال ، تصرخ
الشفاه إلى الله ، فيرسل المعونة والنعمة التي تقدر القلب والفكر
معاً ، وتقدر الروح أيضاً . لأنه الله يريد الإنسان من الداخل ،
ويقول : « يا ابني أعطني قلبك » (أم ٢٣ : ٢٦). وهكذا يقول
المرتل :

الذبيحة لله روح منسحق

إنه يعرف أن « الله يسر بالمحرقات » إن كانت مجرد محرقات
لم يشترك فيها القلب ولا يسر أيضاً بمجرد العبادة الخارجية ، إن
لم تكن تابعة من القلب ، وتعبر عن شعور حقيقي . فهذا الرب
يقول في سفر اشعياء النبي عن مثل هذه العبادة الباطلة .

« أتخمت من محرقات كباش وشحم مسمنات ... لا تعودوا
تأتون إلى بتقديم باطلة » (اش ١ : ١١ ، ١٢) .

ويعبر الله عن رفضه لكل هذه العبادة الباطلة بتفاصيلها فيقول
« البخور هو مكرهة لى ... لست أطيق الإثم والاعتكاف ... رؤوس
شهوركم وأعيادكم أبغضتها نفسى ... صارت على ثقلاً ، مللت

حملها . فحين تبسطون أيديكم ، أستر عيني عنكم . وإن أكثرتم الصلاة لا أسمع . أيديكم ملآنة دماً» (اش ١ : ١٣ - ١٥) .

العيب إذن ليس في البخور ولا الأعياد ولا الصلاة ، إنما في الأيدي المملآنة دماً ...

وهكذا يقول الكتاب « ذبيحة الأشرار مكرهة للرب » (أم : ٨) . إذن ليست كل ذبيحة مقبولة ، ولا كل صلاة مقبولة ، ولا كل صوم مقبولاً ... فالله ينظر إلى القلب ، ثم بعد ذلك يقبل الذبيحة أو لا يقبلها . إثنان صلياً في الهيكل ، فلم يقبل الله صلاة الفريسي ، بينما قبل صلاة العشاء فخرج مبرراً دون ذاك (لو : ١٨ : ١٤) . لأنه كان يصلي بروح منسحقة وقلب منكسر ...

تكلم داود عن العبادة الباطلة المرفوضة فقال :

« لأنك لو آثرت الذبيحة ، لكنت الآن أعطى . ولكنك لا تسر بالمحرقات » ... أى أن المسألة ليست مجرد شكليات ! أخطىء ، فأقدم ذبيحة عن خطيئتي ، فيغفر لى ، وينتهى الأمر ... ! بدون توبة ، بدون ندم وانسحاق قلب ، بدون مشاعر داخلية . مثل هذه المحرقات لا يسر بها الله ، لأن القلب والروح لم يشتركا فيها ...

إذن ماذا كانت المشاعر المرتبطة بالمرحقة المقبولة ؟

١ - أول شيء أراده الله هو أن يشعر الخاطيء بخطيئته ،
متأكداً من أنه لولا خطيئته ما كانت تقدم الذبيحة .

٢ - ويشعر أيضاً أن أجرة الخطية هي موت (ز و٦ : ٢٣) ...
وأن الله قال لأبينا آدم عن عقوبة الخطية «موتاً تموت» (تك ٢ :
١٧) . وعرفت حواء هذه العقوبة تماماً ، أى الموت (تك ٣ : ٣) .
وهكذا ساد المبدأ اللاهوتى الذى يقول :

« بدون سفك دم لا تحصل مغفرة » (عب ٩ : ٢٢) .

٣ - وهكذا يشعر الخاطيء أنه أخطأ ، وأنه يستحق الموت جزاء
لخطيئته . غير أن الله من فرط رحمته قبل مبدأ الكفارة والفداء ، بأن
تموت هذه الذبيحة أو هذه المرحة عوضاً عنه ، وهى ترمز إلى السيد
المسيح الذى هو « حمل الله الذى يرفع خطية العالم » (يو ١ :
٢٩) . « كلنا كغنم ضللنا ، ملنا كل واحد إلى طريقه ، والرب
وضع عليه إثم جميعنا » (اش ٥٣) ... لذلك « هو كفارة
لخطايانا ... ليس لخطايانا فقط ، بل لخطايانا كل العالم أيضاً »
(يو ١ : ٢) .

٤ - وهكذا يشعر مقدم المحرقة ، أن هذا الحيوان البريء إنما يموت عنه هو... فلولا خطيئته ما كان يذبح وتلتهمه النار حتى يتحول إلى رماد (لا ٦ : ٩ - ١٣) ... وهذه النار ترمز إلى العدل الإلهي الذي يأخذ كاملاً آلام المسيح الذي مات عنا ، ودفع ثمن العدل الإلهي كاملاً... وهنا تثبت في عقل مقدم الذبيحة حقيقة لاهوتية واضحة في مبدأ المحرقة والكفارة وهي :

بريء يحمل خطية مذنب ، ويموت عنه ، ليوفي العدل الإلهي .

فهذا الحمل المقدم ليكون محرقة ، هو حمل وديع بريء ، ليس خاطئاً ، إنما هو « حامل خطية غيره » ، تؤخذ نفسه عوضاً عن نفس ذلك الخاطيء مقدم الذبيحة ... وهنا يمتلىء قلب مقدم الذبيحة بالألم والندم لأنه تسبب في موت هذه الفدية ، في ذبحها وسلخها وحرقتها بالنار... إنها مشاعر يجب أن تكون في قلبه ، وإلا فقد روحانية الذبيحة .

أترى هذه المشاعر في قلبك وأنت تتقدم للتناول ؟

وهل هذه المشاعر تكون في قلبك في أسبوع الآلام ، وفي يوم الجمعة الكبيرة ، وفي صلاة الساعة السادسة التي تصلحها كل

يوم؟ وهل هذه المشاعر تكون في قلبك أثناء الاعتراف وتحليل الكاهن، وتحويل خطاياك إلى حساب المسيح، ليدفع الثمن عنها؟ وهل أثناءها تسمع الكلمة التي قالها ناثان لداود «الرب قد نقل عنك خطيئتك. لا تموت» (٢صم ١٢ : ١٣). نقلها عنك إلى المسيح. ولا تموت، لأنه هو المحتمل الموت عنك...

وهل في كل هذا، يكون لك الروح المنسحق والقلب المنكسر؟

إنك تفرح بمغفرة الخطية. ولكن ينبغي أن يكون لك القلب المنكسر الذي يعرف الأسلوب الذي غفرت به خطيته، وكيف أنها حملت لغيره. في يوم الفصح كان يفرحون بالخللاص عن طريق الدم المرشوش على الأبواب، ولكنهم في نفس الوقت كانوا يأكلون الفصح على «أعشاب مرة» (خر ١٢ : ٨) متذكّرين خطيئتهم، والدم الذي سفك عنهم، ورمزه...

ما مركز «الأعشاب المرة» في حياتك؟

كثيرون يفرحون بالخللاص العظيم الذي قدمه السيد المسيح عندما وفى العدل الإلهي، ويغنون قائلين «يبتهج لساني بعدلك». ولكنهم ينسون ما قاله المرتل في نفس المزمور عن الروح

المنسحق والقلب المنكسر . هم يفكرون في أنفسهم فقط كيف
نالوا الخلاص . وللأسف لا يفكرون في المخلص المحب ، كم تألم
لكى يخلصهم ... !

إن الروح المنسحق هو في نفس الوقت حساس ومحب .

حساس جداً بكم فعل هو من خطية ، وبكم فعل الرب به ...
في حساسيته ، يضع خطيته أمامه في كل حين ، ويضع آلام
المخلص أمامه في كل حين أيضاً . يفرح بالخلاص وينكسر قلبه
بسبب الدم الكريم المسفوك عنه . حقاً إن ذبيحة المسيح قد قدمت
خلاصاً كاملاً للجميع . ولكن لا يستفيد منه سوى التائبين المعترفين
بخطاياهم ، المنسحق القلب بسببها ، الذين تنكسر قلوبهم بسبب
كسرهم للوصايا ، وبسبب ما حملوه للمسيح في فدائه لهم ...

أما عن المحرقات التي لا يسربها الله فهي :

المحرقات التي تقدم بدون مشاعر قلبية كالتى ذكرناها ، أو
التي تقدم بدون توبة وندم وعزم أكيد على تغيير السيرة ، أو التي
تقدم بكبرياء وبافتخار ، مثل صلاة الفريسي (لو ١٨) ، أو التي
تقدم بأيد ملآنة دماً (أش ١ : ١٥) ، أو التي تقدم بدون فهم
لرموزها وللثمن المدفوع عنها ، أو التي تقدم من قلب قاس غير
حساس .

أما القلب المنكسر والمتواضع فلا يرذله الله

كثيرة هي آيات الكتاب عن وقوف الله إلى جوار المتضعين «الرب يشفي المنكسرى القلوب، ويجبر جميع كسرهم» (مز ١٤٧ : ٣). هو «الساكن في الأعلى، والناظر إلى المتواضعين» (مز ١١٣ : ٥) الذي «أنزل الأجزاء عن الكراسى، ورفع المتضعين» (لو ١٠ : ٥٢). إنه لم يرذل قلب داود المنكسر، ولا قلب شمشون المنكسر أمامه، ولا قلب أوغسطينوس المنكسر أمامه، ولا قلب المرأة الخاطئة المنكسرة في دموعها، ولا دموع بطرس الذي بكى بكاءً مرأاً...

إن القلب المنكسر، يمكنه أن يصلي صلاة مقبولة.

صلاة متضعة منسحقة، يمكنها أن تدخل إلى الأقداس وتأتي باستجابة، مثل صلاة حنة زوجة القانة، التي صلت وهي مرة النفس، وبكت بكاءً، وقالت، يارب «إن نظرت نظراً إلى مذلة أمتك وذاكرتني» (اصم ١٠ : ١١). مع أنها لم تكن صلاة توبة، إنما كانت طلبية من قلب منكسر وروح منسحقة...

القلب المنكسر مثل الزيتون التي تعصر عصراً لتخرج زيتاً.

وهي مثل الزهرة التي تسحق فتعطي عطراً، ومثل حبة البخور التي تحرق لتعطي رائحة زكية ترتفع إلى فوق، ومثل الشمعة التي تذوب لتعطي نوراً، «ومثل حبة الحنطة التي إن لم تقع في الأرض وتمت، فلن تعطي ثمراً» (يو ١٢ : ٢٤) ... ومثل البئر التي إن لم تحفر فلا تعطي ماء ...

والقلب المنكسر له صفات روحية معروفة :

هو قلب متواضع ، لا يمدح نفسه ، ولا يقبل داخله المديح من آخرين . هو بعيد عن المجد الباطل ، متذكر لخطاياها باستمرار . إنه لا يبرر نفسه في أى خطأ ، بل إن لومه لنفسه على أخطائه أكثر بكثير من اللوم الذي يوجه إليه من الخارج . إنه لا يجادل في أية عقوبة توجه إليه . ولا يتعالى على أحد ، ولا يقسو ، ولا يدين ولا يلوم ، ولا يظن أنه أفضل من أحد .

القلب المنكسر هو المحرقة التي تحولت إلى رماد .

إنه أمام نفسه ، وأمام الناس ، وأمام الله ، هو مجرد تراب ورماد ، مثلما قال أبونا إبراهيم عن نفسه (تك ١٨ : ٢٧) ، ومثلما وصل إليه أيوب الصديق في حوارهِ مع الله (أى ٤٢ : ٦) . القلب المنسحق هو ذبيحة أمام الله ، عملت في مشاعره الداخلية نار العدل الإلهي ، ونار المحبة الإلهية ، فحولته إلى رماد ... وهو يبقى باستمرار رماداً ، لا يعود ليرتفع بعد فترة من التوبة ، كما يحدث

لكثيرين ... هنا ويقول المرتل للرب :

أنعم بمسرتك على صهيون ...

وأيضاً « ولتبن أسوار اورشليم » ، وكلمة صهيون ، وكلمة اورشليم ، أى « مدينة الملك العظيم » (متى ٥ : ٣٥) ترمزان باستمرار إلى جماعة المؤمنين ، أو إلى قلب الإنسان المؤمن ، حينما تأخذان معنى رمزياً ...

فهو هنا يتذكر أن قلبه المنكسر صار محرقة للرب ، ويتذكر أن المحرقة قيل عنها أكثر من مرة إنها « محرقة وقود ، رائحة سرور للرب » (لا : ٩ ، ١٣ ، ١٧) ، فيقول للرب « أنعم بمسرتك على صهيون » أى أرض عنى وعن شعبك . اظهر لى مسرتك بهذه التوبة ، بهذا القلب المنكسر وهذه الروح المنسحقة ، وارفع غضبك عنى وعن شعبك ... ولتبن أسوار اورشليم ، أى أسوارى المنهدمة التى استطاعت الخطية أن تفتحها وتدخل إلى قلبى ...

حينئذ يقربون على مذابحك العجول (أى الذبائح الكبيرة) .

أى المقصود بذلك ، أننا سنحيا حينذاك فى حياة التسييح ، نقدم لك ذبائح الشكر والحمد ، وذبائح القلوب المنكسرة .

فهرست

| صفحة | |
|------|--|
| ٧ | تأملات في صلاة الشكر |
| ٨ | صلاة الشكر |
| ٩ | فلنشكر |
| ١٢ | فلنشكر صانع الخيرات |
| ١٥ | الرحوم الله |
| ١٥ | تطبيق الصلاة في حياتنا |
| ١٩ | الله أبا ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح |
| ١٩ | الله |
| ٢٠ | أبا ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح |
| ٢١ | لماذا نشكر |
| ٢١ | لأنه سترنا |
| ٢٨ | وأعاننا |
| ٣٠ | وحفظنا |
| ٣٣ | قبلنا إليه |

- ٣٦ وشفق علينا وعضدنا
- ٣٧ وأتى بنا إلى هذه الساعة
- ٣٨ هو أيضاً فلنسأله أن يحفظنا في هذا اليوم المقدس
- ٤٠ وكل أيام حياتنا
- ٤١ بكل سلام
- ٤١ الضابط الكل الرب إلهنا
- ٤٢ على كل حال ومن أجل كل حال وفي كل حال
- ٤٤ من أجل هذا
- ٤٥ أمنحننا أن نكمل هذا اليوم المقدس
- ٤٧ وكل أيام حياتنا
- ٥١ بكل سلام
- ٥١ مع مخافتك
- ٥٤ كل حسد
- ٥٩ وكل تجربة
- ٦١ وكل فعل الشيطان
- ٦٤ ومؤامرة الناس الأشرار
- ٦٥ وقيام الأعداء الخفيين والظاهرين

- ٦٧ أنزعها عنا وعن سائر شعبك
- ٦٨ وعن موضعك المقدس هذا
- ٧٠ أما الصالحات والنافعات فارزقنا إياها
- ٧٠ لأنك أنت الذى أعطيتنا السلطان أن ندوس الحيات والعقارب ..
- ٧٥ ولا تدخلنا فى تجربة لكن نجنا من الشرير
- ٧٥ هذا الذى من قبله المجد والكرامة
- ٧٦ تليق بك معه ومع الروح القدس
- ٧٧ المزمور الخمسين
- ٧٩ هذا المزمور بين المزامير
- ٨١ ارحمنى يا الله كعظيم رحمتك
- ٨٤ ومثل كثرة رأفتك تمحو إثمى
- ٨٧ أغسلنى كثيراً من إثمى ومن خطيئى طهرنى
- ٨٨ لأنى أنا عارف بإثمى وخطيئتى أمامى فى كل حين
- ٩٢ لك وحدك أخطأت والشر قدامك صنعت
- ١٠٥ لكى تتبرر فى أقوالك وتغلب إذا حوكت
- ١٠٦ لأنى هانذا بالإثم حبل بى وبالخطايا أشتهتنى أمى
- ١٠٦ هكذا أحببت الحق إذ أوضحت لى غوامض حكمتك ومستوراتها
- ١٠٧ أنضح على بزوفاك فاطهر واغسلنى فأبيض أكثر من الثلج ..

- أغسلنى فأبيض أكثر من الثلج ١٠٨
- اسمعنى سروراً وفرحاً فتبتهج عظامى المنسحقة ١٠٩
- أسباب عدم الحزن على الخطية ١١٠
- فائدة الحزن والانسحاق ١١٢
- أصرف وجهك عن خطاياى وأمح كل آثامى ١١٨
- فأعلم الأثمة طرقك والمنافقون إليك يرجعون ١٢٠
- نجنى من الدماء يا الله إله خلاصى ١٢١
- فبتبتهج لسانى بعدلك ١٢٥
- أفتح يارب شفتى فينطق فمى بتسبيحك ١٢٧
- الذبيحة لله روح منسحق ١٣٢
- أما القلب المنكسر والمتواضع فلا يرذله الله ١٣٨
- أنعم بمسرتك على صهيون ١٤٠

في هذا الكتاب

باسم الآب والابن والروح
القدس الإله الواحد آمين

في مقدمة الصلاة بالأجبية ،
لكل ساعة من ساعات الصلوات
السبع ، نصلي صلاة الشكر
والمزمور الخمسين . وهذا
الكتاب الذي بين يديك هو
تأملات في كليهما .

ننشره كمقدمة للصلوات
المشتركة في ساعات الأجبية .

وأتوقع أن يعقبه كتاب ثان
عن الثلاث تقديسات ، ثم
كتاب ثالث عن صلاة « أبانا
الذي » ثم باقى الصلوات ...

وغايتنا أن تدخل إلى
عمق كلمات الصلاة ،
وتكون صلاتك أكثر عمقاً ،
وأكثر فهماً ، وتعنى كل لفظة
تقولها ..

وحينئذ تشعر أن صلوات
الأجبية أصبح لها تأثير كبير في
روحياتك .

البابا شنودة الثالث